«إِبْدَاعُ الفَوْضَى»[١] وَ«فَوْضَى الإِبْدَاعِ»

(١) (الفَوْضَى) تُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ [(الاخْتِلاَط)، وَ(التَّسَاوِي)]:

- اخْتِلاَط الأُمُورِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ. يُقَالُ: (أَمْوَالُهُمْ فَوْضَى بَيْنَهُمْ)؛ أَيْ: هُمْ فِيهَا شُرَكَاء. وَ(قَوْمٌ فَوْضَى): مُخْتَلِطُونَ فِيهَا. وَصَارَ النَّاسُ فَوْضَى؛ أَيْ: مُتَفَرِّقِينَ.

- التَّسَاوِي فِي الأَمْرِ أَوِ الرُّتْبَةِ. يُقَالُ: (قَوْمٌ فَوْضَى)؛ أَيْ: مُتَسَاوُونَ؛ لاَ أَمِيرَ لَهُمْ وَلاَ مَنْ يَجْمَعُهُمْ [وَانْظُرْ: مَا يَأْتِي هَامِش (ص ١٥، ١٦)]. وَ(المُفَاوَضَةُ): الشَّرِكَةُ العَامَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَ(المُفاوَضةُ): المُسَاوَاةُ وَالمُشَارَكَةُ، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ (التَّفْوِيض)

وَالمَعْنَى الَّذِي قَرَّرَهُ الدُّكْتُورُ/ نَاصِرُ العُمَرِ فِي رِسَالَتِهِ (الفُتُور):

«الفَوْضَوِيَّةُ فِي العَمَلِ؛ فَلاَ هَدَفٌ مُحَدَّدٌ وَلاَ عَمَلٌ مُتْقِنٌ أَعْمَالُهُ -أَيِ: الفَوْضَى- ارْتِجَالاً. يَبْدَأُ فِي العَمَلِ ثُمَّ يَتْرُكُهُ، وَيَشْرَعُ فِي هَذَا الأَمْرِ وَلاَ يُتِمُّهُ وَيَسِيرُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ عَنْهُ، وَهَكَذَا دَوَالَيْكَ».

❁ وَ(الفَوْضَى) (مِنَ اليُونَانِيَّةِ: ἀναρχία اللَّفْظُ: فَوْضَي؛ أَيْ: "بِدُونِ حَاكِمٍ") [وَرَاجِعْ مَا يَأْتِي حَوْلَ (الأَنَارْكِيَّة) هَامِش (ص ١٩، ٢٠)]؛ قَدْ تُشِيرُ إِلَى أَيٍّ مَا يَلِي:

ـ"عَدَمُ وُجُودِ حُكُومَةٍ أَوْ سُلْطَةٍ حَاكِمَةٍ".

ـ"غِيَابُ الحُكُومَةِ؛ حَالَةٌ مِنَ الفَوْضَى بِسَبَبِ غِيَابٍ أَوْ عَدَمِ فَعَالِيَّةِ السُّلْطَةِ العُلْيَا؛ الفَوْضَى السِّيَاسِيَّة".

ـ"حَالَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ حَيْثُ لاَ يُوجَدُ شَخْصٌ حَاكِمٌ أَوْ مَجْمُوعَةٌ حَاكِمَةٌ، وَلَكِنْ لِكُلِّ فَرْدٍ مُطْلَقُ الحُرِيَّةِ (بِدُونِ إِثَارَةِ الاضْطِرَابَاتِ)."

ـ"عَدَمُ وُجُودٍ أَوْ عَدَمُ الاعْتِرَافِ بِالسُّلْطَةِ وَالنِّظَامِ فِي أَيِّ مَجَالٍ".

مَا أَبْهَظَ الثَّمَنَ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ نَدْفَعَهُ -حَوْلَ الخِلَافِ فِي المَسَائِلِ الظَّنِّيَّةِ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا الخِلَافُ [لَا القَطْعِيَّةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ فِيهَا الخِلَافُ]- نَتِيجَةَ: أُحَادِيَّةِ النَّظْرَةِ، واخْتِزَالِيَةِ [(الِاخْتِزَالُ): الاقْتِطَاعُ، وَاخْتَزَلَ بِرَأْيِهِ: انْفَرَدَ] الفِكْرِ وَصَلَابَتِهِ؛ بَلْ وَتَحْجِيرِهِ، وَمُصَادَرَةِ الرَّأْيِ المُخَالِفِ، وَمُحَاوَلَةِ دَعْوَى احْتِكَارِ الحَقِّ وَالحَقِيقَةِ [فَهُوَ العَقْلُ الوَحِيدُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ كُلُّ العُقُولِ]، [يُعَانِي مِنْ مَرَضِ تَضَخُّمِ (الأَنَا) وَ(الطَّاوُوسِيَّة)]، [فَـ(أَنَا المُصِيبُ الوَحِيدُ) وَغَيْرِي -بِالتَّأْكِيدِ- عَلَى خَطَأٍ، أَوْ (أَنَا الصَّوَابُ، وَالصَّوَابُ أَنَا)]؛ [وَالصَّحِيحُ: أَنَّ رَأْيِي -مَهْمَا كُنْتُ أَرَى صَوَابَهُ- يَحْتَمِلُ الخَطَأَ]، وَمُحَاوَلَةِ احْتِكَارِ المَنَابِرِ [وَزِيدَ -اليَوْمَ-: احْتِكَارِ (الفَضَائِيَّاتِ)]، وَانْتِزَاعِ سُلْطَةِ المَعْرِفَةِ؛ [وَأَنْ تَكُونَ سُلْطَتُهُ المَعْرِفِيَّةُ هِيَ السُّلْطَةُ النَّافِذَةُ فِي المُجْتَمَعِ بِأَكْمَلِهِ]، وَالاسْتِبْدَادِ بِالرَّأْيِ، وَتَهْمِيشِ وَتَحْجِيمِ وَتَجْمِيدِ قَوْلِ المُخَالِفِ، بَلْ وَمُصَادَرَتِهِ وَإِقْصَائِهِ وَإِلْغَائِهِ وَالإِنْكَارِ عَلَيْهِ [بَلْ: وَسَحْقِهِ؛ إِنْ أَمْكَنَ]؛ بَلْ وَإِنْكَارِ المُخَالِفِ جُمْلَةً [فَلَيْسَ لِلْمُخَالِفِ فَضْلٌ وَلاَ قِيمَةٌ وَلاَ يُؤْبَهُ لَهُ وَلاَ بِهِ]، وَالتَّعَسُّفِ فِي التَّعَامُلِ مَعَهُ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى تَكْرِيسِ الشُّعُورِ بِالظُّلْمِ بِدَاخِلِهِ، وَهَذَا أَبْشَعُ وَأَشْنَعُ!

وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ؛ ازْدِوَاجِيَةِ المَعَايِيرِ، وَخَلْطِ الأَوْرَاقِ وَقَلْبِ الحَقَائِقِ، وَالنَّظْرَةِ المُتَعَالِيَةِ عَلَى غَيْرِهِ، مَعَ مَا يَنْتُجُ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ مِنْ مُحَاوَلَةِ عَقْلِ العُقُولِ [أَيْ: حَبْسِهَا، مِنْ: عَقَلْتُ البَعِيرَ؛ إِذَا جَمَعْتُ قَوَائِمَهُ] (وَمَعَ سُلْطَةٍ غَاشِمَةٍ قَاهِرَةٍ: اعْتِقَالِ أَصْحَابِ العُقُولِ؛ بَلْ وَتَصْفِيَتِهِمْ). ... وَهَذِهِ هِيَ

الهَلَكَةُ الهَلْكَاءُ، وَالسَّوْءَةُ السَّوْآءُ! [أَوِ: الهَلَكَةُ الهَلْكَى، وَالسَّوْأَةُ السَّوْأَى]

بَلِ الصَّوَابُ؛ إِيجَادُ التَّوَاصُلِ وَالتَّفَاعُلِ [فِكْرِيًّا وَسُلُوكِيًّا وَعَاطِفِيًّا] بَيْنَ فِئَاتِ العُقُولِ عَلَى اخْتِلَافِ مَدَارِكِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَفِئَاتِهِمْ وَبِيئَاتِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَدَوَافِعِهِمْ؛ بَيْنَ بَعْضِهِمْ البَعْضِ [التَّفَاعُلِ الدِّيَالُوجِيِّ (الحِوَارِيِّ) (المُزْدَوَجِ الوَاسِعِ ذِي الاتِّجَاهَيْنِ)؛ الَّذِي لاَبُدَّ مِنْ عَوْدَتِهِ وَانْسِيَابِيَّةِ الحَرَكَةِ فِي قَنَوَاتِهِ، لاَ المُنُولُوجِيّ (ذِي الاتِّجَاهِ الوَاحِدِ)، أَوْ مَنْ لاَ يُكَلِّمُ إِلاَّ نَفْسَهُ]، ..

وَأَيْضًا إِيجَادُ التَّفَاعُلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَقَائِقِ الوَاقِعِ وَمُسَلَّمَاتِهِ.

وَقَبْلَ الحِوَارِ؛ لاَ بُدَّ مِنَ اكْتِسَابِ مَهَارَاتِ الحُوَارِ الرَّصِينِ وَمُقَوِّمَاتِهِ. ... وَاعْتِبَارِ المآلاَتِ، وَاسْتِشْرَافِ النَّتَائِجِ.

وَ... تَوَافُرِ النِّيَّةِ لِإِنْجَاحِهِ! مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى (الأَغْرَاضِ) وَ(الغَايَاتِ)؛ فَـ«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» [حَدِيثٌ رَوَاهُ الجَمَاعَةُ]. فَلاَ بُدَّ مِنِ ابْتِغَاءِ وَجْهِ اللهِ لِلْوُصُولِ إِلَى الحَقِّ.

وَ.. (نُبْلُ الغَايَاتِ بِشَرَفِ الوَسَائِلِ)، فَـ(الغَايَةُ لاَ تُبَرِّرُ الوَسِيلَةَ).

وَ .. «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

فَالصَّوَابُ؛ (الاحْتِوَاءُ) لاَ (الإِقْصَاء)، وَفَرْقٌ شَاسِعٌ بَيْنَ الكَلِمَتَيْنِ.

(الاحْتِوَاءُ): اعْتِرَافٌ بِالمُخَالِفِ، وَمُحَاوَلَةٌ لِلارْتِقَاءِ بِقُدُرَاتِهِ، وَتَوْظِيفٌ

لِحَرَكَتِهِ حَتَّى تَصُبَّ فِيمَا يُصْلِحُ المَسِيرَةَ تَحْتَ جَنَاحَيِّ المَنْظُومَةِ الجَمَاعِيَّةِ؛ بِنَفْسِيَّةٍ آمِنَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ لاَ تَتَرَقَّبُ وَلاَ تَتَرَدَّدُ أَوْ تَتَخَوَّفُ. مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى لَمِّ الشَّمْلِ وَرَأْبِ الصَّدْعِ وَتَهْدِئَةِ الخَوَاطِرِ، وَتَجْمِيعِ الفُرَقَاءِ فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ؛ دُونَ حَطٍّ مِنْ أَحَدٍ عَلَى حِسَابِ أَحَدٍ؛ مِنْ غَيْرِ تَسْفِيهٍ لِرَأْيٍ، أَوْ إِعْلاَءٍ لآخَرَ دُونَ مَعَايِيرٍ. إِنَّهُ البُعْدُ عَنِ (التَّخَنْدُقِ) وَ(التَّشَرْذُمِ)!

وَ(الإِقْصَاءُ) تَبْدِيدٌ لِحَرَكَةِ المُخَالِفِ وَتَشْتِيتٌ لَهَا، وَشُعُورٌ مِنْهُ بِالظُّلْمِ لَهُ... إِنَّهُ مَنْهَجٌ يُعْمِي وَيُصِمُّ... وَيُنْذِرُ بِخَطَرِ التَّكْثِيرِ مِنَ الحَانِقِينَ وَالمَوْتُورِينَ المُتَرَصِّدِينَ لِتَلَقُّفِ هَفْوَةٍ تُقَامُ لَهَا الدُّنْيَا وَلاَ تَقْعُدُ.

❁❁❁❁❁

وَلاَ بُدَّ مِنَ التَّنَبُّهِ لِثَقَافَةِ النَّزْعِ وَالإِخْفَاءِ وَالتَّهْمِيشِ لِلْهُوِيَّةِ [مَعْرَكَةِ الهُوِيَّةِ]، وَالحِفَاظِ عَلَى التَّمَيُّزِ وَالتَّمَايُزِ عَنْ كُلِّ أُمَمِ الأَرْضِ [مِنْ غَيْرِ تَدْجِينٍ وَلاَ تَهْجِينٍ وَلاَ تَلْوِيثٍ وَلاَ تَرْقِيعٍ] وَالحِرْصِ عَلَى (الهُوِيَّةِ) [الهُوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ (وَهِيَ المُقَدَّمَةُ، وَلاَ يُقَدَّمُ عَلَيْهَا شَيْءٌ، شَكْلاً وَمَضْمُونًا)، وَالحَضَارِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ، وَالزَّمَانِيَّةِ، وَالمَكَانِيَّةِ، ...]، (فَـ «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1])، مَعَ الاهْتِمَامِ

---

(١) قَدْ وَرَدَ الحَدِيثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَعَنْ حُذَيْفَةَ، وَقَدْ اِحْتَجَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ.
❁ وَقَالَ المُنَاوِيُّ وَالْعَلْقَمِيُّ: أَيْ: تَزَيَّى فِي ظَاهِرِهِ بِزِيِّهِمْ، وَسَارَ بِسِيرَتِهِمْ وَهَدْيِهِمْ فِي مَلْبَسِهِمْ وَبَعْضِ أَفْعَالِهِمْ. =

بِمُرْتَكَزَاتِ هَذِهِ الهُوِيَّةِ [وَهِيَ: العَقِيدَةُ (وَهِيَ أُسُّ أَيِّ هُوِيَّةٍ) [وَالدِّينُ -بِصِفَةٍ عَامَّةٍ- أَحَدُ المُمَيِّزَاتِ المَرْكَزِيَّةِ لِلْمُجْتَمَعَاتِ الحَضَارِيَّةِ، وَهُوَ المُسَاهِمُ الأَوَّلُ فِي تَلْطِيفِ السُّلُوكِ]، وَالقِيَمِ الدِّينِيَّةِ وَالأَخْلَاقِ (وَأَيُّ عَقِيدَةٍ تَنْطَوِي عَلَى قِيَمٍ[1]؛

= وَقَالَ الْقَارِيُّ: أَيْ مَنْ شَبَّهَ نَفْسَهُ بِالْكُفَّارِ مَثَلًا مِنَ اللِّبَاسِ وَغَيْرِهِ، أَوْ بِالْفُسَّاقِ أَوْ الْفُجَّارِ أَوْ بِأَهْلِ التَّصَوُّفِ وَالصُّلَحَاءِ الْأَبْرَارِ.

(فَهُوَ مِنْهُمْ): أَيْ: فِي الْإِثْمِ، وَالْخَيْرِ؛ قَالَهُ الْقَارِي.

قَالَ الْعَلْقَمِيُّ: أَيْ: مَنْ تَشَبَّهَ بِالصَّالِحِينَ يُكْرَمُ كَمَا يُكْرَمُونَ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِالْفُسَّاقِ لَمْ يُكْرَمْ، وَمَنْ وُضِعَ عَلَيْهِ عَلَامَةُ الشُّرَفَاءِ أُكْرِمَ؛ وَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ شَرَفُهُ.

وَهَذَا الحَدِيثُ أَقَلُّ أَحْوَالِهِ أَنْ يَقْتَضِيَ تَحْرِيمَ التَّشَبُّهِ بِهِمْ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وَهُوَ نَظِير قَوْل عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرو أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ بَنَى بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ وَصَنَعَ نَيْرُوزَهُمْ وَمِهْرَجَانَهُمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ؛ حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَقَدْ يُحْمَلُ هَذَا عَلَى التَّشَبُّهِ الْمُطْلَقِ فَإِنَّهُ يُوجِبُ الْكُفْرَ، وَيَقْتَضِي تَحْرِيمَ أَبْعَاضِ ذَلِكَ، وَقَدْ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ مِنْهُمْ فِي الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ الَّذِي يُشَابِهُهُمْ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ كُفْرًا أَوْ مَعْصِيَةً أَوْ شِعَارًا لَهَا؛ كَانَ حُكْمُهُ كَذَلِكَ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «نَهَى عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْأَعَاجِمِ»، وَقَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ». وَبِهَذَا احْتَجَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى كَرَاهَةِ أَشْيَاءَ مِنْ زِيِّ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) مِثْلُ قِيمَةِ: حُبّ الله (وَاخْتَزَلُوهَا فِي القَلْبِ)، وَحُبّ الرَّسُولِ (وَاخْتَزَلُوهَا فِي الاحْتِفَالِ بِيَوْمِ مَوْلِدِهِ البِدْعِيِّ)، وَحُبّ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ (مَعَ التَّنَبُّهِ لِخَطَرِ الشِّيعَةِ الطَّاعِنِينَ فِي=

لأَنَّهَا جُزْءٌ مُتَمِّمٌ لِلنَّسَقِ المَفَاهِيمِيِّ لِهَذِهِ العَقِيدَةِ، وَهِيَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى تَمَاسُكِ المُجْتَمَعِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ، وَالمُجْتَمَعُ الَّذِي تَرْبِطُهُ آصِرَةُ العَقِيدَةِ تَذُوبُ فِيهَا وَبِهَا: الأَجْنَاسُ وَالأَوْطَانُ وَاللُّغَاتُ وَالأَلْوَانُ وَالعَنَاصِرُ، وَأَيُّ آصِرَةٍ أُخْرَى عَرَضِيَّةٌ لَا عَلَاقَةَ لَهَا بِجَوْهَرِ الإِنْسَانِ، وَالدِّينُ وَالعَقِيدَةُ أُسْلُوبُ حَيَاةٍ)، **وَاللُّغَة** (وَهِيَ المُجَمِّعُ الحَضَارِيُّ الأَوَّلُ، وَهِيَ أَدَاةُ التَّفْكِيرِ -بَلْ وَالأَحْلَامِ، وَالتَّعْبِيرِ، وَالاتِّصَالِ؛ سُلُوكِيًّا وَمَعْرِفِيًّا وَعِلْمِيًّا ...، وَقَدْ حَافَظَ القُرْآنُ عَلَى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ)، **وَالتُّرَاث الثَّقَافِيّ وَالحَضَارِيّ عَلَى مَرِّ العُصُورِ** (وَوِحْدَة الأَرْضِ وَالتَّارِيخِ) (وَكُلُّ هَذِهِ المُرْتَكَزَاتِ تَجْتَمِعُ فِي أُمَّتِنَا وَالأُمَّةُ غَيْرُ مُجْتَمِعَةٍ، وَلاَ تَجْتَمِعُ فِي أُمَمٍ أُخْرَى وَهِيَ مُجْتَمِعَةٌ!!)]، **وَعَدَمِ تَمْيِيعِ الهُوِيَّةِ وَعَدَمِ ذَوَبَانِهَا فِي غَيْرِهَا، وَأَنْ تَظَلَّ مِعْيَارًا لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ المَقْبُولِ وَالمَرْفُوضِ مِمَّا عِنْدَ الآخَرِينَ، لاَ لِهَذَا التَّسَوُّلِ عَلَى مَوَائِدِ غَيْرِنَا بِطُفَيْلِيَّةٍ لاَ تَلِيقُ بِمَنْ لَهُ مِثْلُ هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ وَهَذَا التَّارِيخِ المَجِيدِ**

=الصَّحَابَةِ)، وَبِرّ الوَالِدَيْنِ، وَحُبّ العِلْمِ، وَالدَّعْوَة إِلَى الدِّينِ وَأَنَّنَا أَصْحَابُ رِسَالَةٍ دِينِيَّةٍ وَحَضَارِيَّةٍ (جَعَلُوهَا إِثَارَةً لِلْفِتْنَةِ الطَّائِفِيَّةِ)، وَالعِفَّة وَالحَيَاء، وَالرُّجُولَة، وَالشَّهَامَة وَالمُرُوءة، وَالتَّكَافُل وَالتَّرَاحُم، وَالنَّظَافَة، وَالعَمَل، وَالإِيجَابِيَّة، وَالطُّمُوح (وَجَعَلُوهَا بَدَلاً مِنْ أَنْ نَكُونَ عُلَمَاء وَمُفَكِّرِينَ مَثَلاً؛ جَعَلُوا الطُّمُوحَ فِي لاَعِبِيِّ الكُرَةِ وَالفَنَّانِينَ). ... وَتَحْوِيلُ كُلِّ ذَلِكَ إِلَى (مَهَارَاتٍ سُلُوكِيَّة) [وَمَعْرِفَة أَجْزَاءِ كُلِّ (مَهَارَةٍ)، وَالتَّدْرِيب عَلَى هَذِهِ الأَجْزَاءِ]

وَالمَدَنِيَّةِ [civility] العَرِيقَةِ الَّتِي نَهَلَ مِنْهَا مَنْ نُقَلِّدُهُ اليَوْمَ!

وَعَلَى كُلِّ مُؤَسَّسَاتِ المُجْتَمَعِ [ابْتِدَاءً مِنَ اللَّبِنَاتِ الأُولَى (الأُسْرَةِ، وَالمَدْرَسَةِ، ...)، مُرُورًا بِالوِزَارَاتِ المُخْتَلِفَةِ؛ كَـ(التَّعْلِيمِ العَامِ وَالجَامِعِيِّ وَالأَزْهَرِ وَالأَوْقَافِ وَالثَّقَافَةِ وَالإِعْلَامِ وَالتَّرْبِيَةِ)، وَالمُؤَسَّسَاتِ المَعْنِيَّةِ، وَجَمْعِيَّاتِ العَمَلِ الاجْتِمَاعِيِّ العَامِّ (المُخْلِصَةِ) ...] أَنْ تَتَبَنَّى قِيَمَ المُجْتَمَعِ (الإِسْلَامِيِّ) الصَّحِيحَةَ وَنَشْرَهَا، مَعَ إِعَادَةِ صِيَاغَةِ العُنْصُرِ البَشَرِيِّ بِتَرْبِيَتِهِ وَبِنَائِهِ عَلَى هَذِهِ القِيَمِ، وَتَمْكِينِ هَذِهِ القِيَمِ وَتَحْوِيلِهَا إِلَى (مَهَارَاتٍ سُلُوكِيَّةٍ) وَوَاقِعٍ مُعَاشٍ لِلأُمَّةِ؛ حَيْثُ يَحْرِصُ أَعْدَاؤُنَا عَلَى مُحَاوَلَةِ تَفْكِيكِ الأُمَّةِ وَصِنَاعَةِ افْتِعَالِ الصِّرَاعِ فِيمَا بَيْنَ فِئَاتِهَا، وَذَلِكَ بِتَفْكِيكِ هُوِيَّةِ الأُمَّةِ وَتَغْرِيبِهَا [أَيْ: جُهُودُ الغَرْبِ فِي نَشْرِ أَفْكَارِهِ وَقَوَانِينِهِ وَنُظُمِهِ فِي أَقْطَارِ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ؛ سِيَاسِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا وَثَقَافِيًّا وَتَعْلِيمِيًّا وَإِعْلَامِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا...؛ مِنْ خِلَالِ هَيْمَنَةِ الغَرْبِ عَلَى المَوَادِّ الأَوَّلِيَّةِ وَالمَوَادِّ المُصَنَّعَةِ بِوَاسِطَةِ الشِّرِكَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ (مُتَعَدِّدَةِ الجِنْسِيَّاتِ، عَابِرَةِ الدُّوَلِ)، وَهَيْمَنَةِ الغَرْبِ أَيْضًا عَلَى التِّكْنُولُوجْيَا الحَدِيثَةِ، وَالنِّظَامِ الاقْتِصَادِيِّ العَالَمِيِّ، وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ، ...] وَتَغْيِيبِ هُوِيَّةِ الأُمَّةِ، وَتَغْيِيرِهَا؛ بِالتَّشْوِيهِ لِقِيَمِنَا، وَتَزْيِينِ قِيَمِهِمْ الغَرْبِيَّةِ، وَإِحْلَالِ قِيَمِهِمْ فِي بِلَادِنَا [عَمَلُ (غَسِيلٍ لِلْمُخِّ، وَالعَقْلِ العَرَبِيِّ)] [مَا يُسَمَّى بِـ(الاسْتِعْمَارِ النَّاعِمِ) أَوْ (الاسْتِعْمَارِ المُقَنَّعِ) أَوْ (الاسْتِعْمَارِ الجَدِيدِ) أَوْ (الاسْتِعْمَارِ الحَدِيثِ)؛ دُونَ اسْتِعْمَالِ سِلَاحٍ؛ حَيْثُ كَانَتِ الهَيْمَنَةُ -قَدِيمًا- بِالقُوَّاتِ البَرِّيَّةِ وَالاحْتِلَالِ العَسْكَرِيِّ، وَاليَوْمَ بِالثَّقَافَةِ وَقُوَّةِ المَالِ وَعَبْرَ دَوَائِرِ النُّفُوذِ وَمُمَارَسَةِ الضَّغْطِ وَالحُكْمِ غَيْرِ المُبَاشِرِ].

مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى أَنَّ أَعْدَاءَنَا [وَهُمْ كُثُرٌ؛ قَلَّلَهُمُ اللهُ وَكَسَّرَهُمْ لاَ كَثَّرَهُمْ] يَحْرِصُونَ أَنْ نَهْضِمَ هَذَا الكَمَّ الهَائِلَ مِنْهُمْ مِنَ الغُثَائِيَّةِ الكَلاَمِيَّةِ المُسْتَبْطِنَةِ لِتَحَيُّزَاتٍ لاَ تُمَثِّلُ فِي مُعْظَمِهَا هُوِيَّةَ الأُمَّةِ وَرُوحَهَا .. كَمَا يَحْرِصُونَ عَلَى إِبْعَادِنَا عَنْ (المَسَارِ الصَّحِيحِ)!

وَالتَّنَبُّهِ لِلُّقَطَاءِ [الَّذِينَ هُمْ: «قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا[1] [أَيْ: أَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ]، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، «فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ» (حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)] [مُنْكِرِي (عَظَمَةَ المَاضِي)؛ وَيَتَسَاءَلُونَ: كَيْفَ نُعِيدُ مَا غَبَرَ وَانْقَطَعَ وَبَادَ

---

(١) (الجِلْدَةُ) هِيَ فِي الْأَصْلِ: غِشَاءُ الْبَدَنِ، وَجِلْدَةُ الشَّيْءِ: ظَاهِرُهُ. أَيْ: أَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ.
وَالحَدِيثُ المُشَارُ إِلَيْهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ؛ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي؛ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا. فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ. قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا؛ وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

مُنْذُ بِضْعَةِ عَشَرَ قَرْنًا؟] الَّذِينَ يُرِيدُونَ اسْتِبْدَالَ الهُوِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ بِهُوِيَّةِ الإِسْلاَمِ [بِقَدَاسَتِهِ، وَرَسْمِهِ لِلْحُدُودِ بَيْنَ (نَحْنُ) وَ(هُمْ)] وَالعُرُوبَةِ. [وَمُعَادَاةُ الإِسْلاَمِ لِذَاتِهِ وَمُحَاوَلَةُ القَضَاءِ عَلَيْهِ؛ وَأَنَّى لَهُمْ ذَلِكَ!] وَالإِسْلاَمُ هُوَ العَامِلُ الوَحِيدُ التَّوْحِيدِيُّ لِنَسِيجِ الشُّعُوبِ وَالقَبَائِلِ وَالمَذَاهِبِ، وَالعَقَائِدِ، وَهُوَ الَّذِي يَقِي الأُمَّةَ الإِسْلاَمِيَّةَ مِنْ خَطَرِ التَّعَثُّرِ وَالتَّبَعْثُرِ، وَلاَ يَعْتَرِفُ بِالحُدُودِ الجُغْرَافِيَّةِ الوَهْمِيَّةِ وَلاَ بِالقَوْمِيَّةِ وَلاَ بِالإِقْلِيمِيَّةِ وَلاَ بِالمَذْهَبِيَّةِ وَلاَ الاخْتِلاَفَاتِ الفِكْرِيَّةِ [وَالعَرَبُ لَمْ تَعْرِفْ تَوَحُّدًا وَلاَ تَوْحِيدًا إِلاَّ بِالإِسْلاَمِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عِمْرَان/ ١٠٣)]

فَـ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحُجُرَات/ ١٠)، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُوا إِلاَّ إِخْوَةً!

قَاعِدَةٌ عَمَلِيَّةٌ عَامَّةٌ مُحْكَمَةٌ لِصِيَانَةِ المُجْتَمَعِ المُؤْمِنِ مِنَ الخِصَامِ وَالتَّفَكُّكِ وَالتَّفَرُّقِ .. إِنَّهَا الرَّابِطَةُ الوَثِيقَةُ الَّتِي جَمَعَتْهُمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ، وَأَلَّفَتْ بَيْنَهُمْ بَعْدَ خِصَامٍ .. فَالأَصْلُ فِي الجَمَاعَةِ المُسْلِمَةِ: الحُبُّ وَالسَّلاَمُ وَالتَّعَاوُنُ وَالوِحْدَةُ، وَضَمُّ الجَمِيعِ إِلَى لِوَاءِ (الأُخُوَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ).

أُخُوَّةٌ تُوجِبُ أَنْ يُحِبَّ المُؤْمِنُ أَخَاهُ المُؤْمِنَ، وَيُحِبَّ لأَخِيهِ المُؤْمِنِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ؛ فَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ آمِرًا بِحُقُوقِ الأُخُوَّةِ الإِيمَانِيَّةِ: «لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» (حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. (وَهُوَ حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَلَقَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِالقِيَامِ بِحُقُوقِ المُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَبِمَا بِهِ يَحْصُلُ التَّآلُفُ وَالتَّوَاصُلُ وَالتَّوَادُدُ بَيْنَهُمْ [وَالمُرَادُ بِهِ التَّوَاصُلُ الجَالِبُ المَحَبَّةَ كَالتَّزَاوُرِ وَالتَّهَادِي] وَعَدَمُ التَّقَاطُعِ، وَالتَّعَاوُنُ وَالتَّنَاصُرُ عَلَى الحَقِّ.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ [التَّوَادُد: تَفَاعُل مِنْ (المَوَدَّةِ)، وَ(الْوُدُّ) وَ(الْوِدَادُ) بِمَعْنًى؛ وَهُوَ: تَقَرُّبُ شَخْصٍ مِنْ آخَرَ بِمَا يُحِبُّ] وَتَرَاحُمِهِمْ [أَيْ: أَنْ يَرْحَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأُخُوَّةِ الْإِيمَانِ لَا بِسَبَبِ شَيْءٍ آخَرَ] وَتَعَاطُفِهِمْ [الْمُرَادُ بِهِ: إِعَانَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا كَمَا يَعْطِفُ الثَّوْبَ عَلَيْهِ لِيُقَوِّيَهُ] مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ [أَيْ: دَعَا بَعْضُهُ بَعْضًا إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي الْأَلَمِ] سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى». (وَهُوَ حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَفِي الحَدِيثِ: تَعْظِيمُ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، وَالحَضُّ عَلَى تَعَاوُنِهِمْ، وَمُلاَطَفَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ) هُوَ قَرِينُ الهُوِيَّةِ وَالخُصُوصِيَّةِ الحَضَارِيَّةِ وَاليَقَظَةِ، وَإِنَّ (التَّقْلِيدَ) مَقْبَرَةٌ لِمَلَكَاتِ (الإِبْدَاعَ) وَبَاعِثٌ عَلَى الغَفْلَةِ وَالمَوَاتِ!

إِنَّ (الإِبْدَاعَ) هُوَ التَّعَامُلُ وَالتَّفَاعُلُ (تِكْتِيكِيًّا، وَاسْتِرَاتِجِيًّا) (عَلَى المَدَى القَصِيرِ، وَعَلَى المَدَى الطَّوِيلِ) مَعَ الوَاقِعِ المُتَشَابِكِ بِمُتَغَيِّرَاتِهِ وَتَنَاقُضَاتِهِ، وَالسَّعْيُ إِلَى تَغْيِيرِهِ إِلَى الأَحْسَنِ وَالأَفْضَلِ.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ) هُوَ تِلْكَ الفُسَيْفِسَاءُ الَّتِي تَتَشَكَّلُ مِنْ نَبَضَاتِ (الرُّمُوزِ)، وَشَظَايَا (النُّصُوصِ). ..

إِنَّهُ الجَمْعُ بَيْنَ (النَّصِّ) وَ(العَقْلِ) .. بَيْنَ (المَنْقُولِ) وَ(المَعْقُولِ) .. بَيْنَ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمَةِ (الوَحْيِ) المَعْصُومِ، وَمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمَةِ (العَقْلِ).

إِنَّهَا فَوْضَى؛ وَلاَ سَرَاةَ لهُمْ![1]

---

(١) (سَرَاةَ) -بِفَتْحِ السِّينِ- القَوْمِ؛ وَهُوَ جَمْعُ (سَرِيّ): بِمَعْنَى الشَّرِيفِ، وَالمَعْنَى: خِيَارُهُمْ، وَأَشْرَافُهُمْ. قَالَ الأَفْوَهُ الأَوْدِي:

لاَ يَصْلُحُ القَوْمُ فَوْضَى لاَ سَرَاةَ لَهُمْ ... وَلاَ سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا =

(كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ -هُوَ وَحْدَهُ- سَائِقَ القِطَارِ الأَوْحَدْ!)

(كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ الجَمِيعُ لَهُ تَبَعٌ؛ تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ وَتَأْتَمِرُ بِإِشَارَتِهِ وَلَا مُعَقِّبَ عَلَى رَأْيِهِ!!!)

وَهُنَاكَ فِي العَالَمِ: هَذَا (الرُّوَيْبِضَةُ)[1] العَاجِزُ الَّذِي عَجَزَ عَنْ مَعَالِي

= وَالبَيْتُ لاَ يُبْتَنَى إِلاَّ لَهُ عُمُدٌ ... وَلاَ عِمَادٌ إِلاَّ لَمْ تُرْسْ أَوْتَادُ

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ ... يَوْمًا فَقَدْ بَلَغُوا الأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

تُهْدَى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ ... فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالأَشْرَارِ تَنْقَادُ

قَوْمٌ فَوْضَى: مُخْتَلِطُونَ، وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ لاَ أَمِيرَ لَهُمْ وَلاَ مَنْ يَجْمَعُهُمْ.

(١) (الرُّوَيْبِضَة) تَصْغِيرُ (رَابِضَة)؛ وَهُوَ العَاجِزُ الَّذِى عَجَزَ عَنْ مَعَالِي الأُمُورِ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَأْتِى عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ [الخِدَاعُ: المَكْرُ وَالحِيلَةُ، وَالمَقْصُودُ: السَّنَوَاتُ الَّتِى يَكْثُرُ فِيهَا المَطَرُ، وَيَقِلُّ الرِّيعُ]؛ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «السَّفِيهُ (وَفِي رِوَايَةٍ: الرَّجُلُ التَّافِهُ) يَتَكَلَّمُ فِى أَمْرِ الْعَامَّةِ». [وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: «سِفْلَةُ النَّاسِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: «مَنْ لاَ يُؤْبَهُ لَهُ» أَيْ: لاَ يُبْدَى لَهُ اهْتِمَامٌ وَلاَ يُبَالَى بِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: «الفُوَيْسِقُ»؛ تَصْغِيرُ الفَاسِقِ؛ وَهُوَ: الخَارِجُ عَنْ حُدُودِ الله].

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ وَالحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَالطَّبَرَانِيُّ وَالطَّحَاوِيُّ وَالبَزَّارُ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ. وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَبِي يَعْلَى وَالطَّحَاوِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

الأُمُورِ .. ذُو الهِمَّةِ الدُّونِيَّةِ .. السَّفِيهُ التَّافِهُ .. مِنْ سِفْلَةِ النَّاسِ .. الفُوَيْسِقُ .. الخَارِجُ عَنْ حُدُودِ اللهِ، الفَسْلُ (الرَّذْلُ النَّذْلُ الَّذِي لاَ مُرُوءَةَ لَهُ وَلاَ جَلَد)، (الدِّيمَاجُوجِيُّ)[1]؛ الَّذِي يَظُنُّ أَنَّ وَسِيلَتَهُ لِلْوُصُولِ إِلَى (الإِبْدَاعِ): (الفَوْضَى)؛ وَخَاصَّةً (الفَوْضَى المُمَنْهَجَةُ) المَقْصُودَةُ (الفَوْضَى الخَلاَّقَةُ)[2]؛

---

(١) (الدِّيمَاجُوجِيَّة): سِيَاسَةُ تَمَلُّقِ الشَّعْبِ مِنْ أَجْلِ تَهْيِيجِهِ.

(٢) تَكَلَّمَتْ وَزِيرَةُ الخَارِجِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّة/ كُونْدَالِيزَا رَايِس عَنِ (الفَوْضَى الخَلاَّقَة) عَامَ ٢٠٠٦م، وَرَأَتْ فِيهَا شَرْطًا لِـ(شَرْق أَوْسَط جَدِيد) يَخْلُو مِنْ كَلِمَةِ (عَرَبِيّ). وَهُنَاكَ مُفَكِّرُونَ كُثُرٌ وَصَفُوا (الفَوْضَى الخَلاَّقَة)؛ وَمِنْ هَؤُلاَءِ (مِيكَافِيلِّي) الَّذِي رَأَى بِأَنَّ (الاسْتِقْرَارَ) يُوجِدُ (الفَوْضَى) الَّتِي تُوجِدُ (الاسْتِقْرَار) بَعْدَ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ رَبَطَ (الفَوْضَى) بِالحَرْبِ وَغِيَابِ السَّلاَمِ، وَهَذِهِ هِيَ نَظَرِيَّةُ أَمْرِيكَا فِي (الفَوْضَى الخَلاَّقَة). وَهَذَا المُصْطَلَحُ وُجِدَ فِي أَدَبِيَّاتِ (المَاسُونِيَّةِ) القَدِيمَةِ، حَيْثُ وَرَدَ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَرْجِعٍ.

وَهَذِهِ النَّظَرِيَّةُ تَعْرِيفُهَا: (فَلْسَفَةٌ سِيَاسِيَّةٌ تَعْمَلُ عَلَى تَحْوِيلِ دَوْلَةٍ إِلَى حَالَةٍ مِنَ «الفَوْضَى»؛ بِحَيْثُ يَتِمُّ تَدْمِيرُ أَوْ تَقْلِيلُ سُلْطَةِ القَانُونِ الَّتِي تَرْبِطُ المُجْتَمَعَ الوَاحِدَ فِي الدَّوْلَةِ، وَتُوجِدُ هَذِهِ «الفَوْضَى» حَالَةً جَدِيدَةً مِنَ النِّظَامِ، وَتَفْرِضُ أَمْرًا وَاقِعًا يَكُونُ هَدَفُهُ الرَّئِيسُ عَادَةً إِسْقَاطَ النِّظَامِ السَّابِقِ).

وَلَعَلَّ أَبْسَطَ تَعْرِيفٍ لِـ«الفَوْضَى الخَلاَّقَة»؛ هُوَ أَنَّهَا: (حَالَةٌ سِيَاسِيَّةٌ أَوْ إِنْسَانِيَّةٌ يُتَوَقَّعُ أَنْ تَكُونَ مُرِيحَةً بَعْدَ مَرْحَلَةِ «فَوْضَى» مُتَعَمَّدَةِ الأَحْدَاثِ).

وَأَكَّدَ (يَاسِر ثَامِر) البَاحِثُ فِي العُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ أَنَّ مَفْهُومَ «الفَوْضَى الخَلاَّقَة» يَبْدُو أَقْرَبَ=

[هَكَذَا يُسَمُّونَهَا، وَلَنْ تَكُونَ (الفَوْضَى) خَلاَّقَةً أَبَدًا، فَـ(الفَوْضَى) لاَ تُوصَفُ بِأَنَّهَا (خَلاَّقَةٌ)؛ بِقَدْرِ مَا تَكُونُ مُدَمِّرَةً وَهَدَّامَةً، لَكِنَّ أَنْصَارَ (الفَوْضَى) يَرَوْنَ إِمْكَانِيَّةَ أَنْ تَكُونَ (خَلاَّقَةً) إِذَا وَجَدَتْ وَرَاءَهَا قُوًى نَظَامِيَّةٌ وَتَوْجِيهِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ تَحْكُمُهَا وَتُؤَطِّرُهَا]، [وَأَحْيَانًا تُسَمَّى (الفَوْضَى البَنَّاءَة) أَوِ (التَّدْمِير البَنَّاء)[1]] فِي كُلِّ

=إِلَى مَفْهُومِ «الإِدَارَة بِالأَزَمَات» فِي المَجَالِ الاسْتِرَاتِيجِيِّ مَعَ اخْتِلاَفِ الآلِيَّاتِ وَالوَسَائِلِ.

وَتُؤَكِّدُ (جَامِعَةُ أُوكْسْفُورْد) بِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ طَرِيقٌ وَاحِدٌ لِلْفَوْضَى؛ فَمِنْهُ السِّلْمِيُّ، وَمِنْهُ العَنِيفُ. وَيَقُولُ بَعْضِ البَاحِثِينَ أَنَّ قُوَّةَ «الفَوْضَى الخَلاَّقَة» أَنَّهَا تَنْقُلُ (العَدْوَى) إِلَى مَنْ حَوْلَهَا، وَأَنَّهَا تُشْبِهُ الزِّلْزَالَ عَادَةً الَّذِي لَهُ هِزَّاتٌ ارْتِدَادِيَّةٌ فِي الدُّوَلِ الَّذِي تَشْتَرِكُ مَعَ دَوْلَةِ المَرْكَزِ بِالوَضْعِ الاجْتِمَاعِيِّ أَوِ السِّيَاسِيِّ أَوْ رُبَّمَا العِرْقِيِّ وَاللُّغَوِيِّ.

تَنْبِيهٌ: مُصْطَلَحُ «الفَوْضَى الخَلاَّقَة» ظَهَرَ بَعْدَ مُصْطَلَحِ «صِدَام الحَضَارَاتِ» الَّذِي لَمْ يَلْقَ قَبُولاً، فَأَخْرَجُوا المُصْطَلَحَ الآخَرَ «الفَوْضَى الخَلاَّقَة» لإِيجَادِ الصِّدَامِ مِنْ دَاخِلِهِ بَيْنَ فِئَاتِ المُجْتَمَعِ نَفْسِهِ. فَهَذِهِ مُصْطَلَحَاتٌ خَرَجَتْ أَسَاسًا لِتَدْمِيرِ المُجْتَمَعَاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

(١) يُعَدُّ (مَايْكِل لِيدِين) العُضْوُ البَارِزُ فِي مَعْهَدِ (أَمْرِيكَا إِنْتَرْبِرَايْز) أَوَّلَ مَنْ صَاغَ هَذِهِ المَفَاهِيمَ فِي المَعَانِي السِّيَاسِيَّةِ الحَالِيَّةِ، وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ فِي مَشْرُوعِ (التَّغْيِير الكَامِل فِي الشَّرْقِ الأَوْسَطِ) الَّذِي أُعِدَّ عَامَ ٢٠٠٣م. وَقَدِ ارْتَكَزَ المَشْرُوعُ عَلَى مَنْظُومَةٍ مِنَ الإِصْلاَحَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ الشَّامِلَةِ لِكُلِّ دُوَلِ المَنْطِقَةِ؛ وِفْقًا لاسْتِرَاتِيجِيَّةٍ جَدِيدَةٍ تَقُومُ عَلَى أَسَاسِ الهَدْمِ ثُمَّ إِعَادَةِ البِنَاءِ.

مَكَانٍ وَفِي كَافَّةِ المَجَالاَتِ وَعَلَى كُلِّ الأَصْعِدَةِ .. إِنَّهَا صِنَاعَةُ افْتِعَالِ الأَزَمَاتِ وَإِثَارَةِ الفِتَنِ [مِثْلُ إِثَارَةِ النَّعَرَاتِ: الإِثْنِيَّةِ، وَالعُنْصُرِيَّةِ، وَالعِرْقِيَّةِ، وَالطَّائِفِيَّةِ، وَالفَئَوِيَّةِ ... (وَنِسْيَانُ تَجْمِيعِ الإِسْلاَمِ لَنَا)] .. فَوْضَى تَصِلُ بِهِ إِلَى أَغْرَاضِهِ [هُوَ] الدَّنِيئَةِ، أَوْ إِلَى أَغْرَاضِ أَسْيَادِهِ الخَبِيثَةِ .. وَدُونَ ظُهُورٍ لِمَنْ يُدِيرُونَهَا مِنْ وَرَاءِ الأَسْتَارِ [كَمِثَالٍ لِذَلِكَ: (الأَنَارْكِيُّون)[1]؛ (اللاَّ سُلْطَوِيَّة)

---

(١) (أَنَارْكِي) هِيَ كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ قَدِيمَةٌ تَعْنِي حَرْفِيًّا: (لاَ حَاكِم)، أَوْ (لاَ سُلْطَة). فَـ«الأَنَارْكِيَّة»: (اللاَّ سُلْطَوِيَّة) أَوِ (الأَنَارْكِيزم) (بِالإِنْجِلِيزِيَّة: anarchism)؛ وَهُوَ مُصْطَلَحٌ مُسْتَمَدٌّ مِنْ (أَنَارْكِيسْمُوس) (بِاليُونَانِيَّةِ: ἄναρχος) وَالَّتِي تَعْنِي "بِدُونَ حُكَّام"، مِنْ بَادِئَةٍ ἀν- (أَنْ؛ أَيْ: بُدُون) + ἀρχή (أَرَكِي) وَتَعْنِي: سِيَادَة أَوْ عَالَم أَوْ قَضَاء، فَمَعْنَاهَا: «رَئِيس» أَوْ «سُلْطَة» + -ισμός (إِسْمُوس).

وَلِهَذَا؛ فَهِيَ فِكْرَةٌ تَدْعُو إِلَى مُجْتَمَعٍ «دُونَ رُؤَسَاءٍ» أَوْ «دُونَ سُلْطَةٍ»، فَهِيَ تَهْدِفُ لِإِزَالَةِ سُلْطَةِ الدَّوْلَةِ، وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ المُجْتَمَعَ يَجِبُ أَنْ يُدِيرَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ خِلاَلِ المُنَظَّمَاتِ التَّطَوُّعِيَّةِ بِلاَ حُكُومَةٍ وَلاَ رِئِيسٍ؛ أَيْ: حَالَة (اللاَّ دَوْلَة)، وَلِذَلِكَ كَانَ بَعْضُهُمْ يُطْلِقُ عَلَى هَذَا المَذْهَبِ السِّيَاسِيِّ الاجْتِمَاعِيِّ الفَلْسَفِيِّ قَدِيمًا اسْمُ: «اللاَّ سُلْطَوِيَّة» (Anarchism).

وَقَدْ دَعَا أَوَائِلُ مُفَكِّرِيهَا إِلَى أَنْ يُنَظِّمَ المُجْتَمَعُ شُؤُونَهُ ذَاتِيًّا دُونَ تَسَلُّطٍ لِفَرْدٍ أَوْ جَمَاعَةٍ عَلَى مُقَدَّرَاتِ وَحَيَاةِ غَيْرِهِمْ. وَمِنْ مَبَادِئِ «الأَنَارْكِيَّة»: أَنَّهَا لاَ تَعْتَرِفُ بِالجُيُوشِ وَالقُوَّاتِ المُسَلَّحَةِ، وَتَعْمَلُ عَلَى إِلْغَائِهَا وَإِسْقَاطِهَا، وَتُهَاجِمُهَا بِعُنْفٍ، وَتَلْكَ الأَفْكَارُ الشَّاذَّةُ تُنَافِي المَنْطِقَ؛ لأَنَّ الدَّوْلَةَ بِغَيْرِ جَيْشٍ تُصْبِحُ مَطْمَعًا لِكُلِّ الدُّوَلِ المُحِيطَةِ بِهَا. =

الَّتِي تَعْنِي: الغِيَاب التَّامّ لِلسُّلْطَةِ] (الفَوْضَوِيُّونَ الثَّوْرِيُّونَ)؛ (تَطَرُّفُ الرَّادِيكَالِّيينَ[1])].. وَدُونَ أَنْ تَشْعُرَ الدُّمَى مِنَ البُلَهَاءِ السُّذَّجِ (المُغْتَرِّينَ

= وَقَدِ اسْتُخْدِمَتِ الكَلِمَةُ طُوَالَ قُرُونٍ فِى الكِتَابَاتِ الغَرْبِيَّةِ لِتُشِيرَ إِلَى حَالَةِ بَلَدٍ أَوْ إِقْلِيمٍ حَالَ تَفَكُّكِهِ أَوْ سُقُوطِ السُّلْطَةِ المَرْكَزِيَّةِ المُسَيْطِرَةِ عَلَيْهِ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى صُعُودِ قُوَى مُخْتَلِفَةٍ تَتَصَارَعُ لِتَحِلَّ مَحَلَّهَا مُحْدِثَةً حَالَةً مِنْ فَوْضَى الحَرْبِ الأَهْلِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ أَصْبَحَتِ الكَلِمَةُ فِى اللُّغَاتِ الأُورُوبِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ مُرَادِفَةً لِكَلِمَةِ: (فَوْضَى). [وَرَاجِعْ (فَوْضَى) هَامِش (ص ٥)]

(١) (الرَّادِيكَالِيَّة Radicalism) مُصْطَلَحٌ قَدِيمٌ ظَهَرَ مُنْذُ العُصُورِ الوُسْطَى، وَبَدَأَ فِي الانْتِشَارِ فِي أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ وَأَوَائِلِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَر، وَهِيَ تَعْرِيبٌ لِلْكَلِمَةِ الإِنْجِلِيزِيَّـةِ "Radicalism" وَأَصْلُهَا كَلِمَةُ "Radical" وَتَعْنِي بِالعَرَبِيَّةِ (أَصْل) أَوْ (جَذْر)، فَهِيَ مِثْلُ كَلِمَةِ (أُصُولِيَّة)؛ أَيْ: العَوْدَة إِلَى الأُصُولِ وَالجُذُورِ وَالتَّمَسُّكِ بِهَا وَالتَّصَرُّفِ أَوِ التَّكَلُّمِ وِفْقَهَا، وَيَصِفُهَا قَامُوسُ (لاَرُوس) الكَبِيرُ بِأَنَّهَا "كُلُّ مَذْهَبٍ مُحَافِظٍ مُتَصَلِّبٍ فِي مَوْضُوعِ المُعْتَقَدِ السِّيَاسِيِّ".

فَـ(الرَّادِيكَالِيُّونَ) يَبْحَثُونَ عَمَّا يَعْتَبِرُونَهُ جُذُورَ الأَخْطَاءِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ فِي المُجْتَمَعِ وَيُطَالِبُونَ بِالتَّغْيِيرَاتِ الفَوْرِيَّةِ لإِزَالَتِهَا.

وَيَخْتَلِفُ مَعْنَى كَلِمَةِ (رَادِيكَالِيّ) مِنْ بَلَدٍ لآخَرَ، وَمِنْ وَقْتٍ لآخَرَ.

وَقَدْ ظَهَرَتْ كَلِمَةِ (رَادِيكَالِيّ) -فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ- لِلإِشَارَةِ إِلَى تَصَلُّبِ رِجَالِ الكَنِيسَةِ الغَرْبِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ التَّحَرُّرِ السِّيَاسِيِّ وَالفِكْرِيِّ وَالعِلْمِيِّ فِي أُورُوبَّا، وَلِلدَّلاَلَةِ عَلَى تَصَلُّبِ رِجَالِ الكَنِيسَةِ وَ(رَادِيكَالِيَّتِهِمْ)، (أَيْ: تَعَصُّبِهِمْ وَتَصَلُّبِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الأُصُولِ القَدِيمَةِ دُونَ

=تَجْدِيدٍ). وَلَكِنَّهَا أَصْبَحَتْ تُشِيرُ فِيمَا بَعْدُ إِلَى العَكْسِ وَإِلَى التَّغْيِيرِ؛ وَلَيْسَ بِمَعْنَى (العَوْدَة لِلْجُذُورِ) فَقَطْ، وَلَكِنْ (التَّغْيِير عُمُومًا بِشَكْلٍ جَذْرِيٍّ)؛ حَيْثُ أَصْبَحَتْ تُنْسَبُ إِلَى جُذُورِ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ إِنَّ (الجَذْرِيِّينَ) أَوِ (الرَّادِيكَالِيِّينَ) هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ تَغْيِيرَ النِّظَامَ الاجْتِمَاعِيَّ وَالسِّيَاسِيَّ مِنْ جُذُورِهِ، وَلِهَذَا فَسَّرَهَا بَعْضُ (الرَّادِيكَالِيِّينَ) عَلَى أَنَّهَا تُعَبِّرُ عَنِ الإِصْلاَحِ الأَسَاسِيِّ -حَسَب نَظْرَةِ هَؤُلاَءِ- مِنَ الأَعْمَاقِ أَوِ الجُذُورِ.

فَهِيَ: إِجْرَاءُ تَغْيِيرٍ فِي الهَيَاكِلِ الاجْتِمَاعِيَّةِ؛ مِنْ خِلاَلِ الإِصْلاَحَاتِ المُطْلَقَةِ.

لَكِنَّ العَالَمَ اليَوْمَ صَبَغَ مُصْطَلَحَ (الرَّادِيكَالِيَّة) بِمَعْنَى آخَرَ هُوَ (التَّطَرُّف) [أَيْ: النَّزْعَةُ إِلَى إِحْدَاثِ تَغْيِيرَاتٍ مُتَطَرِّفَةٍ فِي الفِكْرِ وَالعَادَاتِ السَّائِدَةِ وَالأَحْوَالِ وَالمُؤَسَّسَاتِ القَائِمَةِ].

وَغَالِبًا مَا تَرْتَبِطُ الكَلِمَةُ بِالتَّيَّارَاتِ المَارْكِسِيَّةِ أَوِ الاشْتِرَاكِيَّةِ أَوِ اليَمِينِيَّةِ المُتَطَرِّفَةِ أَوِ الأَحْزَابِ ذَاتِ النَّظْرَةِ الدِّينِيَّةِ المُتَطَرِّفَةِ؛ سَوَاءٌ كَانَتْ إِسْلاَمِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً أَوْ يَهُودِيَّةً أَوْ هِنْدُوسِيَّةً ...، وَإِنْ كَانَتْ أَصْبَحَتْ أَكْثَرَ ارْتِبَاطًا -فِي الوَقْتِ الرَّاهِنِ بِالتَّيَّارَاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

وَقَدْ أَضَافَ إِلَيْهَا العَالَمُ اليَوْمَ مَعْنَى (العُنْف) وَ(الإِرْهَاب)، وَأَلْصَقَهُ بِالإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ، وَلِهَذَا قَالَ المُسْتَشْرِقُ البِرِيطَانِيُّ (هُومِي بَابَا) إِنَّ: "الرَّادِيكَالِيَّة كَلِمَةٌ ذَاتُ دَلاَلاَتٍ سَلْبِيَّةٍ تُلْصَقُ بِالعَالَمِ الإِسْلاَمِيِّ، مَعَ أَنَّ الظَّاهِرَةَ عَالَمِيَّةٌ وَلاَ تَقْتَصِرُ عَلَى مَا كَانَ يُسَمَّى دُوَل العَالَمِ الثَّالِثِ؛ مِثْلُ الهِنْدِ وَمِصْرَ، بَلْ وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَى العَالَمِ الأَوَّلِ حَيْثُ (الرَّادِيكَالِيَّة الإِنْجِيلِيَّة) عَلَى أَشُدِّهَا فِي الوِلاَيَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ مَثَلاً.".

وَقَدْ أَفْرَزَتِ (الثَّوْرَةُ الشِّيعِيَّةُ الإِيرَانِيَّةُ) نَوْعًا خَاصًّا مِنَ (الرَّادِيكَالِيَّة) اصْطُلِحَ عَلَى تَسْمِيَتِهَا -عِنْدَهُمْ- بِـ(الرَّادِيكَالِيَّة الإِسْلاَمِيَّة)؛ قَامَتْ عَلَى (تَصْدِير الثَّوْرَة) وَالدَّعْوَةِ إِلَى=

بِالأَحْلاَمِ) -أَحْيَانًا- بِمَنْ يُحَرِّكُهَا مِنْ خَفَافِيشِ الظَّلاَمِ، وَأَنَّهَا: .. مُجَرَّدُ (قُفَّازٍ) أَوْ (أَحْجَارٌ عَلَى رُقْعَةِ الشَّطَرَنْجِ) أَوْ (دُمًى) في (مَسْرَحِ العَرَائِسِ)!

وَهُنَاكَ (الفَوْضَى) العَبَثِيَّةُ الصِّبْيَانِيَّةُ الَّتِي تَضْرِبُ في أَيْ شَيْءٍ وَفي كُلِّ شَيْءٍ؛ دُونَ هَدَفٍ أَوْ غَايَةٍ إِلاَّ لِمُجَرَّدِ العَبَثِ لِذَاتِهِ (العَبَثُ لِلْعَبَثِ)...

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الإِبْدَاعِ) في اللُّغَةِ؛ يَعْنِي: الاخْتِرَاعَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ.

وَ(المُبْدِعِ)؛ هُوَ: المُنْشِئُ أَوِ المُحْدِثُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ. فَـ(اللهِ): (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)؛ أَيْ: خَالِقُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.

وَيَقُولُ الشَّرِيفُ الجُرْجَانِيُّ في كِتَابِهِ (التَّعْرِيفَات): "(الابْتِدَاعُ): إِيجَادُ شَيْءٍ غَيْرِ مَسْبُوقٍ بِمَادَّةٍ وَلاَ زَمَانٍ؛ كَالعُقُولِ. وَهُوَ يُقَابِلُ (التَّكْوِينَ)؛ لِكَوْنِهِ مَسْبُوقًا بِالمَادَّةِ. وَ(الأَحْدَاث)؛ لِكَوْنِهِ مَسْبُوقًا بِالزَّمَانِ. وَالتَّقَابُلُ بَيْنَهُمَا تَقَابُلُ التَّضَادِّ إِنْ كَانَا وُجُودِيَّيْنِ؛ بِأَنْ يَكُونَ (الابْتِدَاعُ) عِبَارَةً عَنِ الخُلُوِّ عَنِ المَسْبُوقِيَّةِ بِمَادَّةٍ. وَ(التَّكْوِينُ) عِبَارَةً عَنِ المَسْبُوقِيَّةِ بِمَادَّةٍ، وَيَكُونُ

=المَذْهَبِ الشِّيعِيِّ الإِثْنَا عَشَرِيِّ، وَيَقُولُونَ أَنَّهَا تَعْنِي مُنَاصَرَةَ الإِصْلاَحَاتِ الجَذْرِيَّةِ وَالأَسَاسِيَّةِ وَالحَاسِمَةِ في المَنْهَجِ السِّيَاسِيِّ لِلإِيرَان، كَمَا تَعْنِي المُطَالَبَةَ بِالحُرِّيَّاتِ الأَسَاسِيَّةِ وَالدِّيمُقْرَاطِيَّةِ عَلَى أَسَاسِ القِيَادَةِ الشَّعْبِيَّةِ الدِّينِيَّةِ [وَتُصْبِحُ الدُّوَلُ (السُّنِّيَّةُ) شِيعِيَّةً تَابِعَةً لإِيرَان!!!].

بَيْنَهُمَا تَقَابُلُ الإِيجَابِ وَالسَّلْبِ؛ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا وُجُودِيًّا وَالآخَرُ عَدَمِيًّا".

فَـ(الإِبْدَاعُ): إِنْشَاءُ الجَدِيدِ بِأَعْلَى مِثَالٍ وَأَصْفَى صُورَةٍ.

أَمَّا (الاخْتِرَاعُ) فَهُوَ: كُلُّ ابْتِكَارٍ أَوِ اخْتِرَاعِ شَيْءٍ جَدِيدٍ نَابِعٍ مِنْ جَهْدٍ شَخْصِيٍّ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الاخْتِرَاعُ مِنَ المُمْكِنِ صُنْعُهُ وَتَطْبِيقُهُ فِي الوَاقِعِ بِسَهُولَةٍ وَيُسْرٍ. وَيُمْنَحُ المُخْتَرِعُ حُقُوقَ بَرَاءَةِ الاخْتِرَاعِ.

❁❁❁❁❁

وَإِنَّ (الإِبْدَاعَ) لَهُ أَرْبَعَةُ مُكَوِّنَاتٍ أَسَاسِيَّة؛ هِيَ:

(١) العَمَلُ الإِبْدَاعِيُّ. (٢) العَمَلِيَّةُ الإِبْدَاعِيَّةُ.

(٣) الشَّخْصُ المُبْدِعُ. (٤) المَوْقِفُ الإِبْدَاعِيُّ.

إِنَّ (العَمَلِيَّةَ الإِبْدَاعِيَّةَ)؛ هِيَ: التَّعْبِيرُ عَنِ القُدْرَةِ عَلَى إِيجَادِ عَلاَقَاتٍ بَيْنَ أَشْيَاء لَمْ يَسْبِقْ أَنْ قِيلَ بِأَنَّ بَيْنَهَا عَلاَقَاتٍ.

وَإِنَّ (الإِبْدَاعَ) هِبَةٌ مِنَ اللهِ، وَلَيْسَ مُكْتَسَبًا؛ فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى كَثْرَةِ التَّدْرِيبِ.

❁❁❁❁❁

فَـ(الإِبْدَاعِ): التَّفْكِيرُ غَيْرُ النَّمَطِي غَيْرُ التَّقْلِيدِيِّ، عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةِ الآخَرِين، .. أَنْ تَرَى مَا لاَ يَرَاهُ الآخَرُونَ ... وَأَنْ تَرَى المَأْلُوفَ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ؛ بِحَيْثُ لاَ تَتَجَمَّدُ العُقُولُ وَالأَفْكَارُ.

إِنَّهُ .. الإِتْيَانُ بِشَيْءٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، وَإِعَادَةُ صِيَاغَتِهِ بِصِيَاغَةٍ جَدِيدَةٍ جَمِيلَةٍ. ...

فَإِنَّهُ .. النَّظَرُ لِلْمَأْلُوفِ بِطَرِيقَةٍ أَوْ زَاوِيَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ، ثُمَّ تَطْوِيرُ هَذَا النَّظَرِ لِيَتَحَوَّلَ إِلَى فِكْرَةٍ .. ثُمَّ تَقْيِيم .. ثُمَّ تَصْمِيمٍ .. ثُمَّ إِبْدَاعٍ قَابِلٍ لِلتَّطْبِيقِ.
[وَلاَ يَعْنِي هَذَا: الجَمْعُ بَيْنَ (المَأْلُوفِ) وَ(غَيْرِ المَأْلُوفِ) فِي آنٍ وَاحِدٍ].

إِنَّهُ .. التَّفْكِيرُ (اللاَّ مَنْطِقِيّ) بِطَرِيقَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ، (أَوِ العَكْس).

إِنَّهُ .. تَنْظِيمُ الأَفْكَارِ وَظُهُورُهَا فِي بِنَاءٍ جَدِيدٍ؛ انْطِلاَقًا مِنْ عَنَاصِرِ مَوْجُودَةٍ.

إِنَّهُ .. طَاقَةٌ عَقْلِيَّةٌ هَائِلَةٌ، وَهِيَ: فِطْرِيَّةٌ فِي أَسَاسِهَا، اجْتِمَاعِيَّةٌ فِي نَمَائِهَا، مُجْتَمَعِيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ فِي انْتِمَائِهَا.

إِنَّهُ .. الطَّاقَةُ المُدْهِشَةُ لِفَهْمِ وَاقِعَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ، وَالعَمَلُ عَلَى انْتِزَاعِ وَمْضَةٍ مِنْ وَضْعِهِمَا جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ.

إِنَّهُ .. عَمَلُ الشَّيْءِ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى جَدِيدَةٍ وَغَرِيبَةٍ.

إِنَّهُ .. القُدْرَةُ عَلَى حَلِّ المُشْكِلاَتِ بِأَسَالِيبَ جَدِيدَةٍ.

إِنَّهُ .. حَالَةٌ عَقْلِيَّةٌ تَنْحُو لإِيجَادِ أَفْكَارٍ أَوْ طُرُقٍ وَوَسَائِلَ غَايَةً فِي الجِدَّةِ وَالتَّفَرُّدِ؛ بِحَيْثُ تُشَكِّلُ إِضَافَةً حَقِيقِيَّةً لِمَجْمُوعِ النِّتَاجِ الإِنْسَانِيِّ.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): إِنْتَاجٌ عَقْلِيٌّ جَدِيدٌ وَمُفِيدٌ وَأَصِيلٌ. .. فَهُوَ القُدْرَةُ عَلَى تَكْوِينِ وَإِنْشَاءِ شَيْءٍ جَدِيدٍ، أَوْ دَمْجِ الآرَاءِ القَدِيمَةِ أَوِ الجَدِيدَةِ فِي صُورَةٍ جَدِيدَةٍ.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): يَتَمَيَّزُ بِأَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ (الطَّلاَقَةِ الفِكْرِيَّةِ)، وَ(المُرُونَةِ التِّلْقَائِيَّةِ)، وَ(الأَصَالَةِ)، وَ(الحَسَاسِيَّةِ لِلْمُشْكِلاَتِ) ....

١. (الطَّلاَقَة Fluency): هِيَ القُدْرَةُ عَلَى إِنْتَاجِ أَفْكَارٍ عَدِيدَةٍ لَفْظِيَّةٍ وَأَدَائِيَّةٍ لِمُشْكِلَةٍ نِهَايَتُهَا حُرَّةٌ وَمَفْتُوحَةٌ؛ فِى فَتْرَةٍ مُحَدَّدَةٍ، بِمَعْنَى: إِنْتَاج العَدِيدِ مِنَ الاسْتِجَابَاتِ أَوِ الحُلُولِ لِلأَسْئِلَةِ أَوِ المُشْكِلاَتِ مَفْتُوحَةِ النِّهَايَاتِ.

٢. (المُرُونَة Flexibility): هِيَ تَغْيِيرُ الحَالَةِ الذِّهْنِيَّةِ لَدَى الفَرْدِ بِتَغَيُّرِ المَوْقِفِ. أَيْ: القُدْرَةُ عَلَى تَغْيِيرِ وِجْهَةِ نَظَرِهِ إِلَى المُشْكِلَةِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا مِنْ زَوَايَا مُخْتَلِفَةٍ.

وَلِلْمُرُونَةِ مَظْهَرَانِ؛ هُمَا:

(المُرُونَةُ التِّلْقَائِيَّة): هُوَ إِعْطَاءُ عَدَدٍ مِنَ الأَفْكَارِ المُتَنَوِّعَةِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِمَوْقِفٍ مُحَدَّدٍ.

(المُرُونَةُ التَّكْيِفِيَّة): تَعْنِي التَّوَصُّلَ إِلَى حَلٍّ مُشْكِلَةٍ أَوْ مَوْقِفٍ فِي ضَوْءِ التَّغْذِيَةِ الرَّاجِعَةِ الَّتِي تَأْتِي مِنْ ذَلِكَ المَوْقِفِ.

٣. (الأَصَالَة Originality): تَعْنِي التَّمَيُّزَ فِي التَّفْكِيرِ وَالنُّدْرَةِ وَالقُدْرَةِ عَلَى النَّفَاذِ إِلَى مَا وَرَاءَ المُبَاشِرِ وَالمَأْلُوفِ مِنَ الأَفْكَارِ.

أَيْ: إِنْتَاجٌ مُتَفَرِّدٌ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَجْمُوعَةِ المَرْجِعِيَّةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا الفَرْدُ. أَيْ: أَفْكَارٌ جَدِيدَةٌ، نَادِرَةٌ، غَيْرُ مَأْلُوفَةٍ، قَلِيلَةُ التَّكْرَارِ.

٤. (الحَسَاسِيَّة لِلْمُشْكِلاَتِ Sensitivity to Problem) هِيَ قُدْرَةُ الشَّخْصِ عَلَى رُؤْيَةِ الكَثِيرِ مِنَ المُشْكِلاَتِ فِى المَوْقِفِ الوَاحِدِ الَّذِي قَدْ لاَ

يَرَى فِيهِ شَخْصٌ آخَرُ أَيَّةَ مُشْكِلةٍ.

٥. (الإِفَاضَة Elaboration) (التَّفَاصِيلُ أَوِ التَّوَسُّعُ أَوِ الإِتْقَانُ): وَهِيَ القُدْرَةُ عَلَى إِتْقَانِ أَوْ إِحْكَامِ التَّفَاصِيلِ المُتَعَلِّقَةِ بِفِكْرَةٍ مَا، وَتَطْوِيرِهَا، وَجَعْلِهَا قَابِلَةً لِلتَّنْفِيذِ.

٦. (التَّخَيُّل أَوِ التَّصَوُّرُ البَصَرِيُّ Visualization): وَتَتَمَثَّلُ فى القُدْرَةِ عَلَى التَّخَيُّلِ أَوِ المُعَالَجَةِ العَقْلِيَّةِ لِلصُّوَرِ وَالأَفْكَارِ، وَالتَّوْلِيفِ بَيْنَهَا مِنْ زَوَايَا وَجَوَانِب مُتَعَدِّدَةٍ دَاخِلِيَّةٍ وَخَارِجِيَّةٍ؛ بحَيْثُ يُنَظِّمُهَا فى صُوَرٍ وَأَشْكَالٍ لاَ خِبْرَةَ لِلْفَرْدِ بهَا مِنْ قَبْلُ.

٧. (التَّحْوِيلاَت Transformation): وَتَتَمَثَّلُ فى القُدْرَةِ عَلَى تَغْيِيرِ الأَشْيَاءِ أَوِ الأَفْكَارِ التَّقْلِيدِيَّةِ إِلَى أَشْيَاءَ أَوْ أَفْكَارٍ جَدِيدَةٍ بهَدَفِ الوُصُولِ إِلَى مَعَانٍ أَوْ تَطْبِيقَاتٍ أَوْ تَضْمِينَاتٍ أَوْ مَنْظُومَاتٍ أَوِ اشْتِقَاقَاتٍ أَوْ تَوْلِيفَاتٍ جَدِيدَةٍ.

٨. (الحَدَس Intuition): وَتَتَمَثَّلُ فى القُدْرَةِ عَلَى إِدْرَاكِ وَرُؤْيَةِ العَلاَقَاتِ، وَعَلَى اسْتِنْتَاجَاتٍ أَوْ تَخْمِينَاتٍ اعْتِمَادًا عَلَى مَعْلُومَاتٍ جُزْئِيَّةٍ أَوْ نَاقِصَةٍ.

٩. (التَّرْكِيبُ Synthesis): وَتَتَمَثَّلُ فى القُدْرَةِ عَلَى تَجْمِيعِ الأَجْزَاءِ أَوِ الأَفْكَارِ الَّتِي تَبْدُو أَقَلَّ ارْتِبَاطًا فى تَرَاكِيبَ أَوْ أَبْنِيَةٍ أَوْ تَوْلِيفَاتٍ جَدِيدَةٍ.

١٠. (التَّقْوِيمُ Evaluation) وَهِيَ عَمَلِيَّةُ اسْتِمْرَارِ مُعَالَجَةِ الفِكْرَةِ بِشَكْلٍ مُتَعَاقِبٍ وَمُسْتَمِرٍّ، وَمُعَالَجَتُهَا بالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّجْرِيبِ وَالاخْتِبَارِ

العَمَلِيِّ.

١١. (سُرْعَةُ البَدِيهَةِ Intuition) وَتَبْدُو فى الإِضَافَاتِ الَّتِي يُضِيفُهَا الفَرْدُ عَلَى الفِكْرَةِ الوَاحِدَةِ؛ لِيَجْعَلَ مِنْهَا فِكْرَةً مُعَقَّدَةً مُتَشَعِّبَةً مَلِيئَةً بالاسْتِجَابَاتِ.

١٢. (الاحْتِفَاظُ بالاتِّجَاهِ وَمُوَاصَلَتُهُ Maintaining Direction) وَهِيَ تَعْنِي مُقَاوَمَةَ المُشَتِّتَاتِ، وَأَنْ يَظَلَّ المُبْدِعُ مُوَجَّهًا نَحْوَ حَلِّ المُشْكِلَةِ الأَصْلِيَّةِ.

١٣. (تَحْلِيلُ المَضْمُونِ Content Analysis) هُوَ أُسْلُوبُ بَحْثٍ يُطَبَّقُ لِلْوُصُولِ إِلَي وَصْفٍ كَمِّيٍّ هَادِفٍ وَمُنَظَّمٍ لِلْمَضْمُونِ المُرَادِ تَحْلِيلِهِ؛ بغَرَضِ التَّوَصُّلِ إِلَي مَدَى شُيُوعِ ظَاهِرَةٍ أَوْ أَحَدِ المَفَاهِيمِ أَوْ فِكْرَةٍ أَوْ أَكْثَرَ في المَضْمُونِ مَحِلِّ التَّحْلِيلِ.

١٤. (القُدْرَةُ عَلَى الغَلْقِ Closure) وَهِيَ تَعْنِي تَأْجِيلَ إِتْمَامِ مَهَمَّةٍ مُعَيَّنَةٍ لِمُدَّةٍ زَمَنِيَّةٍ تَسْمَحُ بالتَّأْجِيلِ مِنْ أَجْلِ إِمْكَانِيَّةِ التَّوَصُّلِ إِلَي إِنْتَاجِ أَفْكَارٍ أَصِيلَةٍ.

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): هُوَ نَشَاطٌ عَقْلِيٌّ مُرَكَّبٌ وَهَادِفٌ، تُوَجِّهُهُ رَغْبَةٌ قَوِيَّةٌ في البَحْثِ عَنْ حُلُولٍ، أَوِ التَّوَصُّلِ إِلَى نَوَاتِجَ أَصِيلَةٍ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً سَابِقًا.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): هُوَ القُدْرَةُ عَلَى تَكْوِينِ تَرْكِيبَاتٍ أَوْ تَنْضِيمَاتٍ جَدِيدَةٍ.

.. إِنَّهُ البَحْثُ عَنِ الفِكْرَةِ الجَدِيدَةِ في غَيْرِ الأَمَاكِنِ المُعْتَادَةِ ..

وَأَنْ تَرَى بِخَيَالِكَ -وَالخَيَالُ لاَ حُدُودَ لَهُ- مَا لاَ يَرَاهُ الآخَرُونَ، وَأَنْ يَأْخُذَكَ الخَيَالُ بَعِيدًا في عَالَمِ الأَفْكَارِ الإِبْدَاعِيَّةِ، وَأَنْ تُنَظِّمَ هَذِهِ الأَفْكَارَ

وَتَنْظُمَهَا وَتُظْهِرَهَا فِي بِنَاءٍ جَدِيدٍ انْطِلاَقًا مِنْ عَنَاصِرِ مَوْجُودَةٍ. ..

فَتَسْتَعْمِلُ الخَيَالَ لِتَطْوِيرِ وَتَكْيِيفِ الآرَاءِ حَتَّى تُشْبِعَ الحَاجِيَّاتِ بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ، .. أَوْ عَمَل شَيْءٍ جَدِيدٍ مَلْمُوسٍ أَوْ غَيْرِ مَلْمُوسٍ بِطَرِيقَةٍ أَوْ أُخْرَى. ... مَعَ الاسْتِفَادَةِ مِنْ أَحْلاَمِ اليَقَظَةِ!!!

إِنَّهُ -أَحْيَانًا- التَّفْكِيرُ بِطَرِيقَةٍ عَكْسِيَّةٍ. .. فَالتَّفْكِيرُ فِي الشَّيْءِ بِصُورَةٍ عَكْسِيَّةٍ يُعْتَبَرُ مِنْ أَسْهَلِ الطُّرُقِ لِتَوْلِيدِ (فِكْرَةٍ جَدِيدَةٍ).. فَإِذَا قَلَبْتَ تَفْكِيرَكَ فِي أَيِّ شَيْءٍ فَسَتَصِلُ إِلَى (فِكْرَةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ). ..

غَيِّرِ اتِّجَاهَكَ أَوِ انْطِبَاعَكَ أَوْ وِجْهَةَ نَظَرِكَ؛ فَانْظُرْ إِلَى الهَزِيمَةِ عَلَى أَنَّهَا نَصْرٌ .. وَإِلَى المِحْنَةِ عَلَى أَنَّهَا مِنْحَةٌ. ... وَابْحَثْ فِي الانْتِصَارِ، وَأَيْضًا فِي الهَزِيمَةِ: عَنْ مَوَاطِنِ الخَلَلِ، وَالتَّقْصِيرِ، وَالسَّلْبِيَّاتِ، وَكَذَا؛ عَنْ مَوَاطِنِ القُوَّةِ، وَالإِيجَابِيَّاتِ.

إِنَّهُ .. البَحْثُ عَنْ أَفْكَارٍ (جَدِيدَةٍ) وَ.. (رَائِعَةٍ).

فَهَذَا هُوَ ....: (الإِبْدَاعُ)!

❁❁❁❁❁

وَ(<u>التَّفْكِيرُ الإِبْدَاعِيُّ</u>) يَتَضَمَّنُ:

١. النَّظَرَ إِلَى الأَشْيَاءِ المَأْلُوفَةِ نَظْرَةً جَدِيدَةً.

٢. إِبْدَاعَ أَفْكَارٍ جَدِيدَةٍ وَأَصِيلَةٍ.

٣. مُعَالَجَةَ القَضَايَا بِطَرِيقَةٍ أَكْثَرَ مُرُونَةٍ.

٤. تَقْلِيبَ الفِكْرَةِ بِعِدَّةِ وُجُوهٍ.

٥. تَفْصِيلَ الفِكْرَةِ وَرَفْدَهَا بِمَعْلُومَاتٍ إِضَافِيَّةٍ وَاسِعَةٍ.

٦. إِطْلاَقَ الأَفْكَارِ المُتَعَلِّقَةِ بِالفِكْرَةِ الوَاحِدَةِ.

٧. التَّفْكِيرَ مَهَارَة التَّشْغِيلِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الذَّكَاءُ في أَثْنَاءِ القِيَامِ بالعَمَلِ مُسْتَنِدًا عَلَى عَامِلِ الخِبْرَةِ.

❁❁❁❁❁

❁ وَلَكِنَّ (الإِبْدَاعَ) -عِنْدَ بَعْضِهِمْ؛ هُوَ:

ثُنَائِيَّةُ (التَّنَاقُضَاتِ) أَيًّا كَانَتْ .. وَالخُرُوجُ عَنِ (المَأْلُوفِ)! ... وَالجَمْعُ وَالتَّعَايُشُ مَعَ (المَأْلُوفِ) وَ(غَيْرِ المَأْلُوفِ) مَعًا في سِيَاقٍ وَاحِدٍ [وَعَدَم التَّمَايُزِ بَيْنَهُمَا]، وَ(العَقْلاَنِيِّ) وَ(اللاَّ عَقْلاَنِيِّ)، وَ(المَنْطِقِيِّ) وَ(اللاَّ مَنْطِقِيِّ)، وَتَحْوِيلُ مَا كَانَ مُسْتَهْجَنًا إِلَى شَيْءٍ عَادِيٍّ يُنْكَرُ عَلَى مَنْ يَسْتَهْجِنُهُ!!

فَهَلِ الوَاقِعُ .. إِلاَّ طَيْفًا مُسْتَمِرًّا مِنْ (تَنْوِيعَاتِ الاخْتِلاَفِ)، وَجَمْعًا بَيْنَ أَطْيَافِ وَأَطْرَافِ (الثُّنَائِيَّاتِ)؟

أَلَيْسَ الوَاقِعُ جَمْعًا بَيْنَ (الوُضُوحِ) وَ(الغُمُوضِ)؟ بَلْ رُبَّمَا يَكُونُ غُمُوضُهُ مِنْ شِدَّةِ وُضُوحِهِ .. أَوِ العَكْسِ!!

إِنَّهُ .. إِفْرَازُ وَإِبْرَازُ (المُفَارَقَاتِ)!!!

❁❁❁❁❁

أَلَيْسَ (الإِبْدَاعُ)؛ هُوَ: المُبَادَرَةُ الَّتِي يُبْدِيهَا الشَّخْصُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى الانْشِقَاقِ وَالخُرُوجِ مِنَ التَّسَلْسُلِ العَادِيِّ في التَّفْكِيرِ إِلَى مُخَالَفَةٍ كُلِّيَّةٍ؟

أَلَيْسَ (الإِبْدَاعُ): السَّيْرَ عَلَى القَوَاعِدِ .. وَهَدْمِهَا؟!

❁❁❁❁❁

آهٍ؛ مِنْ تِلْكَ الكَلِمَةِ الرَّشِيقَةِ البَرَّاقَةِ: (الإِبْدَاعُ)!

إِنَّهُ .. ثُنَائِيَّةُ الجَمْعِ بَيْنَ: (الهَدْمِ)، وَ(البِنَاءِ). ....

إِنَّهُ .. ثُنَائِيَّةُ الجَمْعِ بَيْنَ: (الثَّبَاتِ)، وَ(التَّغْيِيرِ) [الثَّوْرَةِ]. ...

إِنَّهُ .. ثُنَائِيَّةُ الجَمْعِ بَيْنَ: (التَحْلِيلِ)، وَ(التَّرْكِيبِ). ....

إِنَّهُ .. عَدَمُ الاعْتِرَافِ بِـ(بَدَاهَةِ الوُضُوحِ)، وَ(سَذَاجَةِ الاكْتِمَالِ).

إِنَّهُ .. عَدَمُ الاعْتِرَافِ بِـ(لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَبْدَعُ مِمَّا كَانَ).

إِنَّهُ: السَّبْحُ فِي (الخَيَالِ)، مَعَ عَدَمِ الخُرُوجِ عَنِ (الوَاقِعِ).

❁❁❁❁❁

إِنَّهُ .. الجَمْعُ بَيْنَ: الحفَاظِ عَلَى (التُّرَاثِ) الإِنْسَانِيِّ (لاَ الحَيَوَانِيِّ)، وَالحَضَارِيِّ (لاَ التَّخَلُّف) [وَفَوْقَ ذَلِكَ (التُّرَاثِ): (القُرْآنُ)[1] وَ(السُّنَّةُ)؛ فَهُمَا

---

(١) فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ هُوَ السَّبِيلُ الوَحِيدُ لِلْهِدَايَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ طَرِيقُ السَّلاَمَةِ مِنَ الضَّلاَلِ وَالغُوَايَةِ:

❁ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المَائِدَة/ ١٥، ١٦) أَيْ: يُنْجِيهِمْ مِنَ المَهَالِكِ، وَيُوَضِّحُ لَهُمْ أَبْيَنَ المَسَالِكِ؛ فَيَصْرِفُ عَنْهُمُ المَحْذُورَ، وَيُحَصِّلُ لَهُمْ أَنْجَبَ الأُمُورِ، وَيَنْفِي عَنْهُمُ الضَّلاَلَةَ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى أَقْوَمِ حَالَةٍ (كَمَا فِي: تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ)

إِنَّهَا حَقِيقَةٌ يَجِدُهَا المُؤْمِنُ فِي قَلْبِهِ وَفِي كِيَانِهِ وَفِي حَيَاتِهِ وَفِي رُؤْيَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ لِلأَشْيَاءِ وَالأَحْدَاثِ وَالأَشْخَاصِ .. يَجِدُهَا بِمُجَرَّدِ أَنْ يَجِدَ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ .. ﴿نُورٌ﴾ نُورٌ تُشْرِقُ بِهِ كَيْنُونَتُهُ؛ فَتَشِفُّ وَتَخِفُّ وَتَرِفُّ. وَيُشْرِقُ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ أَمَامَهُ؛ فَيَتَّضِحُ وَيَتَكَشَّفُ وَيَسْتَقِيمُ. =

= ثِقْلَةُ الطِّينِ فِي كِيَانِهِ، وَظُلْمَةُ التُّرَابِ، وَكَثَافَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ، وَعَرَامَةُ الشَّهْوَةِ وَالنَّزْوَةِ .. كُلٌّ أُولَئِكَ يُشْرِقُ وَيُضِيءُ وَيَتَجَلَّى .. تَخِفُ الثِّقْلَةُ، وَتُشْرِقُ الظُّلْمَةُ، وَتَرِقُّ الكَثَافَةُ، وَتَرِفُّ العَرَامَةُ .. وَاللَّبْسُ وَالغَبَشُ فِي الرُّؤْيَةِ، وَالتَّأَرْجُحُ وَالتَّرَدُّدُ فِي الخُطْوَةِ، وَالحَيْرَةُ وَالشُّرُودُ فِي الاتِّجَاهِ وَالطَّرِيقِ البَهِيمِ الَّذِي لاَ مَعَالِمَ فِيهِ .. كُلٌّ أُولَئِكَ يُشْرِقُ وَيُضِيءُ وَيَتَجَلَّى .. يَتَّضِحُ الهَدَفُ وَيَسْتَقِيمُ الطَّرِيقُ إِلَيْهِ وَتَسْتَقِيمُ النَّفْسُ عَلَى الطَّرِيقِ .. (فِي ظِلاَلِ القُرْآنِ)

❁ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (طه/ ١٢٣-١٢٧).

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَ آدَمَ وَإِبْلِيسَ أَنْ يَهْبِطَا إِلَى الأَرْضِ، وَأَنْ يَتَّخِذَ آدَمُ وَبَنُوهُ الشَّيْطَانَ عَدُوًّا لَهُمْ، وَأَنَّهُ سيَأْتِيهِمْ مِنْهُ ﷻ هُدًى يُبَيِّنُ لَهُمُ الطَّرِيقَ المُسْتَقِيمَ المُوَصِّلَةَ إِلَيْهِ وَإِلَى جَنَّتِهِ؛ فَسَيُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ كُتُبًا، وَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رُسُلاً، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ وَاتِّبَاعُ الهُدَى يَكُونُ بِتَصْدِيقِ الخَبَرِ، وَعَدَمِ مُعَارَضَتِهِ بِالشُّبَهِ، وَامْتِثَالُ الأَمْرِ بِأَنْ لاَ يُعَارِضَهُ بِشَهْوَةٍ. فَهُوَ -عِنْدَئِذٍ- فِي أَمَانٍ مِنَ الضَّلاَلِ وَالشَّقَاءِ بِاتِّبَاعِ هُدَى اللهِ، فَلاَ يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ، وَلاَ يَشْقَى فِيهِمَا، بَلْ قَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَهُ السَّعَادَةُ وَالأَمْنُ فِي الآخِرَةِ. وَقَدْ نَفَى اللهُ عَنْهُ الخَوْفَ وَالحُزْنَ فِي آيَةٍ أُخْرَى؛ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البَقَرَة/ ٣٨).

وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ أَيْ: وَمَنْ أَعْرَضَ فِي الدُّنْيَا عَنْ كِتَابِي الَّذِي فِيهِ جَمِيعُ المَطَالِبِ العَالِيَةِ وَتَنَاسَاهُ وَأَخَذَ مِنْ غَيْرِهِ هُدَاهُ، وَتَرَكَهُ عَلَى وَجْهِ الإِعْرَاضِ عَنْهُ، أَوْ مَا هُوَ=

=أَعْظَمُ بِأَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ الإِنْكَارِ لَهُ، وَالكُفْرِ بِهِ، وَانْقَطَعَ عَنِ الاتِّصَالِ بِالله وَكِتَابِهِ.

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾؛ أَيْ: فَإِنَّ جَزَاءَهُ؛ أَنْ نَجْعَلَ مَعِيشَتَهُ ضَيِّقَةً فِيهَا المَشَقَّةُ وَالشَّقَاءُ؛ فَلاَ طُمَأْنِينَةٌ لَهُ، وَلاَ انْشِرَاحٌ لِصَدْرِهِ، بَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقٌ حَرَجٌ لِضَلاَلِهِ، وَإِنْ تَنَعَّمَ ظَاهِرُهُ بِكُلِّ أَنْوَاعِ النِّعَمِ وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ سِعَةٍ وَمَتَاعٍ؛ فَإِنَّ قَلْبَهُ فِي قَلَقٍ وَحَيْرَةٍ وَشَكٍّ، فَلاَ يَزَالُ فِي رَيْبَةٍ يَتَرَدَّدُ؛ فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ ضَنْكِ المَعِيشَةِ .. ضَنْك الانْقِطَاعِ عَنْ الاتِّصَالِ بِالله وَالاطْمِئْنَانِ إِلَى حِمَاهُ .. ضَنْك الحَيْرَةِ وَالقَلَقِ وَالشَّكِ .. ضَنْك الحِرْصِ وَالحَذَرِ: الحِرْص عَلَى مَا فِي اليَدِ وَالحَذَر مِنَ الفَوْتِ. .. ضَنْك الجَرْيِ وَرَاءَ بَارِقِ المَطَامِعِ وَالحَسْرَةِ عَلَى كُلِّ مَا يَفُوتُ .. فَطُمَأْنِينَةُ القَلْبِ لاَ تَكُونُ إِلاَّ فِي رِحَابِ الله وَالإِيمَانِ بِهِ، وَمَا يَحِسُّ رَاحَةَ الثِّقَةِ إِلاَّ وَهُوَ مُسْتَمْسِكٌ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى الَّتِي لاَ انْفِصَامَ لَهَا ..

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أَيْ: وَنَحْشُرُ هَذَا المُعْرِضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى البَصَرِ (عَلَى الصَّحِيحِ)؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾.

فَقَالَ هَذَا المُعْرِضُ عَلَى وَجْهِ الذُّلِّ وَالتَّأَلُّمِ وَالضَّجَرِ مِنْ هَذِهِ الحَالَةِ: رَبِّ! لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ فِي دَارِ الدُّنْيَا بَصِيرًا؟ فَمَا الَّذِي صَيَّرَنِي إِلَى هَذِهِ الحَالَةِ البَشِعَةِ. وَذَلِكَ جَزَاءٌ عَلَى إِعْرَاضِهِ عَنِ الذِّكْرِ فِي الأُولَى (وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ). فَكَانَ الجَوَابُ: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾!

وَلَقَدْ أَسْرَفَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ بِإِلْقَاءِ الهُدَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَهُوَ أَنْفَسُ شَيْءٍ،=

أَعْلَى وَأَغْلَى مَا لَدَيْنَا]؛ الَّذِي مَا لَوْ فَقَدْنَاهُ أَوْ أَوْدَعْنَاهُ خَزَائِنَ النِّسْيَانِ شَعَرْنَا بِالحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَحَصَّلْنَا الخُسْرَانَ. .. وَبَيْنَ الأَخْذِ بِـ(الجَدِيدِ) [دُونَ الانْبِهَارِ بِهِ] الَّذِي لَوْ تَرَكْنَاهُ تَخَلَّفْنَا وَأَصْبَحْنَا فِي ذَيْلِ الأُمَمِ [فَبَعْدَ أَنْ كُنَّا - يَوْمًا- سَادَةً لِلْأُمَمِ، لِلْأَسَفِ -اليَوْمَ- قَدْ مَضَى بِالرَّكْبِ قَوْمٌ آخَرُونَ،].

إِنَّهُ الحِفَاظُ عَلَى (الإِرْثِ التُّرَاثِيِّ وَالحَضَارِيِّ) بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ عَظَمَةٍ وَشُمُوخٍ [مَعَ الشُّعُورِ مِنْ خِلَالِهِ بِالدِّفْءِ وَالسَّكِينَةِ .. وَالعِزَّةِ وَالفَخَارِ]. ....

.. مَعَ الانْتِفَاعِ بِالتَّسَارُعِ التَّقَنِيِّ (التِّكْنُولُوجِيِّ) الهَادِرِ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ تَقَدُّمٍ وَازْدِهَارٍ. [وَدُونَ أَنْ نَكُونَ مُسْتَخْدِمِينَ لَهُ وَمُسْتَهْلِكِينَ فَقَطْ؛ بَلْ أَيْضًا مُنْتِجِينَ لَهُ وَمُخْتَرِعِينَ وَمُكْتَشِفِينَ]

أَيْ: الجَمْعُ بَيْنَ المُثُلِ وَالقِيَمِ وَالغَايَاتِ الأُصُولِيَّةِ الأَصِيلَةِ لِدِينِنَا وَحَضَارَتِنَا، وَبَيْنَ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ وَالمُتَطَوِّرَةِ لِلْحَضَارَاتِ الحَدِيثَةِ.

فَلَابُدَّ مِنَ التَّمَيُّزِ بِصِفَةِ (النُّمُوِّ) وَ(الدِّينَامِيكِيَّةِ)، لاَ أَنْ نُخَيَّرَ بَيْنَ (المَاضِي) وَمَعَهُ (التَّخَلُّفِ) .. وَبَيْنَ (التَّقَدُّمِ) وَ(سَحْقِ الجُذُورِ وَالهُوِيَّةِ)!

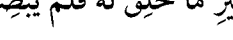

=وَأَسْرَفَ فِي إِنْفَاقِ بَصَرِهِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ فَلَمْ يُبْصِرْ مِنْ آيَاتِ اللهِ شَيْئًا؛ فَلَمْ يَتَّعِظْ وَلَمْ يَعْتَبِرْ، فَلاَ جَرَمَ أَنْ يَعِيشَ مَعِيشَةً ضَنْكًا! وَيُحْشَرَ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ أَعْمَى! ضَلاَلٌ وَشَقَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

فَهُنَاكَ (المُنْبَتُّ)[١] العَاجِزُ شَدِيدُ الحُمْقِ، وَالمُتَنَكِّرُ لأُصُولِهِ وَجُذُورِهِ المَقْطُوعُ عَنْهُمَا، الَّذِي يَسْعَى إِلَى تَشْوِيهِ الوَاقِعِ، وَوَأْدِ كُلِّ أَصِيلٍ (مَهْمَا كَانَتْ مَكَانَتُهُ)؛ وَذَلِكَ تَحْتَ وَطْأَةِ الانْبِهَارِ بالإِنْجَازَاتِ العِلْمِيَّةِ وَالتِّكْنُولُوجِيَّةِ وَالتَّقَدُّمِ المَادِّيِّ (مَعَ عَدَمِ التَّنَبُّهِ إِلَى خَوَائِهِمْ الرُّوحِيِّ)، وَقَدْ يَنْتُجُ عَنْ هَذَا الانْبِهَارِ: نَزِيفُ العُقُولِ وَهِجْرَتُهَا، وَصَبُّهَا فِي: العَوْلَمَةِ[٢] أَوِ

---

(١) هُنَاكَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ؛ فَإِنَّ المُنْبَتَّ لاَ سَفَرًا قَطَعَ وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى». وَالبَتُّ مِنَ القَطْعِ، وَالانْبِتَاتُ: الانْقِطَاعُ، وَرَجُلٌ مُنْبَتٌّ؛ أَيْ: مُنْقَطَعٌ بِهِ وَأَبَتَّ بَعِيرَهُ: قَطَعَهُ بِالسَّيْرِ، وَالمُنْبَتُّ فِي الحَدِيثِ: الَّذِي أَتْعَبَ دَابَّتَهُ حَتَّى عَطِبَ ظَهْرُهُ فَبَقِيَ مُنْقَطَعًا بِهِ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا انْقَطَعَ فِي سَفَرِهِ وَعَطِبَتْ رَاحِلَتُهُ: صَارَ مُنْبَتًّا. يُرِيدُ أَنَّهُ بَقِيَ فِي طَرِيقِهِ عَاجِزًا عَنْ مَقْصِدِهِ وَلَمْ يَقْضِ وَطَرَهُ وَقَدْ أَعْطَبَ ظَهْرَهُ. وَالبَاتُّ: المَهْزُولُ الَّذِي لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَقُومَ، وَقَدْ بَتَّ يَبِتُّ بُتُوتًا، وَيُقَالُ لِلأَحْمَقِ المَهْزُولِ هُوَ: بَاتٌّ، وَأَحْمَقُ بَاتٌّ: شَدِيدُ الحُمْقِ.

(٢) (العَوْلَمَةُ) هِيَ تَرْجَمَةٌ لِلْمُصْطَلَحِ الإِنْجِلِيزِيِّ (Globalization)، وَبَعْضُهُمْ يُتَرْجِمُهَا بِـ(الكَوْنِيَّةِ)، وَبَعْضُهُمْ يُتَرْجِمُهَا بِـ(الكَوْكَبَةِ)، وَبَعْضُهُمْ بِـ(الشَّوْمَلَةِ)، إِلاَّ أَنَّ مُصْطَلَحَ (العَوْلَمَةِ) قَدِ اشْتَهَرَ بَيْنَ البَاحِثِينَ، وَأَصْبَحَ هُوَ أَكْثَرَ التَّرْجَمَاتِ شُيُوعًا بَيْنَ أَهْلِ السِّيَاسَةِ وَالاقْتِصَادِ وَالإِعْلاَمِ.

وَتَعْنِي: إِعَادَةَ تَرْمِيمِ وَبِنَاءِ الثَّقَافَةِ الكَوْنِيَّةِ عَلَى غِرَارِ (الثَّقَافَةِ الغَرْبِيَّةِ)؛ وَ(الأَمْرِيكِيَّةِ) عَلَى وَجْهِ الخُصُوصِ زَعِيمَةِ العَالَمِ الغَرْبِيِّ بِقُوَّتِهَا وَجَبَرُوتِهَا. وَتَعْتَمِدُ (العَوْلَمَةُ) عَلَى القُوَّةِ=

الأَمْرِكَةِ[1] أَوِ الأَوْرَبَةِ (أَيْ: بِنَاء الثَّقَافَةِ بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ الأَهْوَاءِ الأُورُبِّيَّةِ، وَفِيهَا

=وَالقَسْرِ وَالغَلَبَةِ؛ وَلِذَا فَهِيَ تَخْتَلِفُ عَنِ (العَالَمِيَّةِ)، وَلَيْسَ لَهَا تَعْرِيفٌ جَامِعٌ مَانِعٌ؛ وَذَلِكَ لِغُمُوضِ مَفْهُومِ (العَوْلَمَةِ)، وَلاخْتِلاَفِ وِجْهَةِ البَاحِثِينَ؛ فَتَجِدُ لِلاقْتِصَادِيِّينَ تَعْرِيفٌ، وَلِلسِّيَاسِيِّينَ تَعْرِيفٌ، وَلِلاجْتِمَاعِيِّينَ تَعْرِيفٌ؛ وَهَكَذَا.

وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ إِلَى ثَلاَثَةِ أَنْوَاعٍ: ظَاهِرَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ، وَهَيْمَنَةٍ أَمْرِيكِيَّةٍ، وَثَوْرَةٍ تِكْنُولُوجِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ.

❁ وَ(العَوْلَمَةُ) تَعْتَمِدُ عَلَى:

١. (مُرْسِلٌ) صَاحِبُ فِكْرٍ وَمُحْتَوَى.

٢. (مُسْتَقْبِلٌ) صَاحِبُ ثَقَافَةٍ مَحْدُودَةٍ، أَوْ مَعْدُومَةٍ، أَوْ أَقَلّ ثَقَافَةٍ، أَوْ لَيْسَ بِقُوَّةِ (المُرْسِلِ)؛ لافْتِقَارِهِ إِلَى الإِمْكَانِيَّاتِ.

٣. وُجُودُ (الوَسِيلَةِ) أَدَاةِ التَّخَاطُبِ وَالحِوَارِ؛ لِلاسْتِمَالَةِ، وَإِلاَّ الحُرُوب وَالمُشَاكَسَات وَالغَلَبَة وَالقَهْر؛ وَهُنَا يَكْمُنُ الفَارِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (العَالَمِيَّةِ).

٤. (الرِّسَالَةُ) وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ ثَقَافَةٍ أَوْ حَضَارَةٍ أَوْ دِينٍ أَوْ مُحْتَوَى [كُلُّ هَذَا إِمَّا وَضْعِيٌّ أَوْ مُحَرَّفٌ] يُرَادُ فَرْضُهُ.

٥. (الرَّجْعُ المُرْتَدُّ) أَيْ: (مَوْقِفُ المُسْتَقْبِلِ) أَيْ: تَفَاعُلُ المُسْتَقْبِلِ مَعَ الرِّسَالَةِ؛ هَلْ هُوَ: مُوَافَقَةٌ أَمْ إِذْعَانٌ أَمْ مُوَاجَهَةٌ أَمْ تَوَسُّطٌ أَمْ مُحَاوَرَةٌ أَمْ تَهْجِينٌ ..؟ [وَانْظُرْ مَا سَيَأْتِي ص ٧٥]

(١) تَمَّ -فِي البِدَايَةِ- (أَمْرَكَةُ) جَمَاهِيرَ المُهَاجِرِينَ الجُدُدِ [وَأَوْلاَدِهِمْ] إِلَى الأَرْضِ الجَدِيدَةِ (أَمْرِيكَا) بِاعْتِمَادِ وَفَرْضِ بِرْنَامِجٍ مَنْهَجِيٍّ قَصْرِيٍّ لِضَمَانِ انْدِمَاجِ وَذَوَبَانِ الجَمِيعِ فِي بَوْتَقَةٍ=

=وَاحِدَةٍ، وَقَدْ خَرَجَ هَذَا البِرْنَامِجُ مِنَ (الأَفْكَارِ الدِّينِيَّةِ) الَّتِي جَاءَتْ مَعَ المُهَاجِرِينَ إِلَى الأَرْضِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَكَذَلِكَ (الأَفْكَارِ السِّيَاسِيَّةِ)؛ مَا بَاتَ يُعْرَفُ بِـ(الدِّينِ المَدَنِيِّ الأَهْلِيِّ الأَمْرِيكِيِّ) -الَّذِي خَرَجَ مِنْ رَحِمِ الدِّيَانَةِ (البُرُوتِسْتَانْتِينِيَّةِ) الإِصْلاَحِيَّةِ [مِنَ (النَّصْرَانِيَّةِ)]، هَذَا الدِّينُ الَّذِي يُشَكِّلُ الحَدَّ الأَدْنَى لِمَا هُوَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الأَكْثَرِيَّةِ الكَبِيرَةِ مِنَ الأَمْرِيكِيِّينَ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى: المَفَاهِيمِ العَلْمَانِيَّةِ [فَلاَ قُدْسِيَّةَ لِنَصٍّ وَلاَ لِكَلِمَةٍ، فَالقَدَاسَةُ فَقَطْ لِلْعِلْمِ وَالعَقْلِ]، وَالاقْتِصَادِ الحُرِّ [عَكْس (الاقْتِصَادِ المُوَجَّهِ) وَالإِيدْيُولُوجِيَّاتِ (المَارْكِسِيَّةِ)] [وَضِدّ النِّقَابَاتِ وَالقُيُودِ التُّجَارِيَّةِ]، وَالحُرِّيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَالمُسَاوَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ [وَحُقُوق (المَوَاطَنَةِ)].

وَأَضْحَتِ (العَقِيدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ) تَتَكَوَّنُ مِنْ جُمْلَةٍ مِنَ العَنَاصِرِ الأَسَاسِيَّةِ؛ هِيَ: (العَلْمَانِيَّة)، (الدِّيمُقْرَاطِيَّة)، (اللِّيبْرَالِيَّة) [أَوْ: الدِّيمُقْرَاطِيَّة اللِّيبْرَالِيَّة ذَات دُسْتُورٍ مَكْتُوبٍ]، (الفَرْدِيَّة).

وَيَنْبَثِقُ مِنْ ذَلِكَ: السُّوقُ الحُرَّةُ، النَّزْعَةُ الدُّسْتُورِيَّةُ وَحُكْمُ القَانُونِ، وَحُقُوقُ الإِنْسَانِ، وَالمُسَاوَاةُ [تَنْبِيهٌ: نَحْنُ نُنَادِي بِـ(العَدْلِ) لاَ بِـ(المُسَاوَاةِ)]. [وَسَيَأْتِي تَعْرِيفُ المُصْطَلَحَاتِ]

وَقَدْ أَصْبَحَتْ هَذِهِ (العَقِيدَةُ) بَذْرَةَ وَنَوَاةَ (المَبَادِئِ الكَوْنِيَّةِ الشَّامِلَةِ)، أَوْ (المُثُلِ العُلْيَا) لِلْحَضَارَةِ الكَوْكَبِيَّةِ (العَوْلَمَةِ) الحَدِيثَةِ المُعَاصِرَةِ؛ الَّتِي يُرِيدُونَ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَى أَقْصَى زَوَايَا كَوْكَبِ الأَرْضِ.

وَأُشِيرُ إِلَى أَنَّ النَّزْعَةَ (الفَرْدِيَّة) تَعْنِي أَنَّ الفَرْدَ لاَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ عَلَيْهِ وَاجِبًا نَحْوَ: الأَعْلَى [مِنْهُ؛ كَمَرْجِعِيَّةٍ دِينِيَّةٍ مَثَلاً]، الخَارِج [عَنْهُ مِنْ جَمَاعَتِهِ وَطَائِفَتِهِ، وَلاَ اْحْتِرَام لِلْعُرْفِ وَالتَّقَالِيدِ]، الخَلْف [سَلَفُهُ وَالشُّيُوخُ الأَقْدَمُونَ]).

العَدِيدُ مِنَ الهُوِيَّاتِ: إِنْجِلِيزِيَّةٍ، وَفَرَنْسِيَّةٍ، وَأَلْمَانِيَّة، ....)]

إِنَّهُمْ .. كَـ(الخُشُبِ المُسَنَّدَةِ)[1]؛ ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المُنَافِقُون/ ٤)...

إِنَّهَا .. أَحْلاَمُ العَصَافِيرِ [مَعَ (أَجْسَام البِغَالِ) ...].

وَعَكْسُهُ: (العَاطِلُ الخَامِلُ) الَّذِي يَسْعَى إِلَى إِنْكَارِ كُلِّ جَدِيدٍ وَبَدِيعٍ؛ لاَ لِشَيْءٍ إِلاَّ .. لأَنَّهُ (مُخْتَلِفٍ)!!

وَالكُلُّ يَدْعُو: «هَلُمُّوا إِلَيْنَا»[2]!!!

---

(١) (الخُشُب المُسَنَّدَة) أَيْ: الَّتِي سُنِدَتْ إِلَى حَائِطٍ أَوْ نَحْوِهِ، أَيْ: أُمِيلَتْ إِلَيْهِ فَهِيَ غَلِيظَةٌ طَوِيلَةٌ قَوِيَّةٌ؛ لَكِنَّهَا غَيْرُ مُنْتَفَعٍ بِهَا فِي سَقْفٍ وَلاَ مَشْدُودٌ بِهَا جِدَارٌ. شُبِّهُوا بِـ(الخُشُبِ المُسَنَّدَةِ) تَشْبِيهَ التَّمْثِيلِ فِي حُسْنِ المَرْأَى وَعَدَمِ الجَدْوَى، أُفِيدَ بِهَا أَنَّ أَجْسَامَهُمُ المُعْجَبُ بِهَا وَمَقَالَهُمُ المُصْغَى إِلَيْهِ خَالِيَانِ عَنِ النَّفْعِ كَخُلُوِّ الخُشُبِ المُسَنَّدَةِ عَنِ الفَائِدَةِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ حَسِبْتُمُوهُمْ أَرْبَابَ لُبٍّ وَشَجَاعَةَ وَعِلْمٍ وَدِرَايَةٍ. وَإِذَا اخْتَبَرْتُمُوهُمْ وَجَدْتُمُوهُمْ عَلَى خِلاَفِ ذَلِكَ فَلاَ تَحْتَفِلُوا بِهِم. وَالمَعْنَى: أَنَّ حُسْنَ صُورَهِمْ لاَ نَفْعَ فِيهِ لأَنْفُسِهِمْ وَلاَ لِلْمُسْلِمِينَ.

(٢) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً ۞ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ (الأَحْزَاب/ ١٨ -١٩).

وَالعَجِيبُ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يُجِيبُ وَيَسْتَجِيبُ!!

وَقَدْ قَالَتْ فِي أَمْثَالِهِمْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ:(١)

أَفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي الحَرْبِ أَمْثَالَ النِّسَاءِ العَوَارِكِ(٢)

إِنَّهُ القُدْرَةُ عَلَى التَّمَاسُكِ وَالاسْتِقْرَارِ، وَالنُّهُوضِ وَالإِنْجَازِ؛ بَلْ وَالتَّقَدُّمِ فِي ظِلِّ الوَاقِعَ المُعَاشِ والظُّرُوفِ الرَّاهِنَةِ، وَالتَّكَيُّفُ مَعَ مُتَغَيِّرَاتِ عَصْرِ التِّقْنِيَةِ (التِّكْنُولُوجِيَا)(٣) وَالمَعْلُومَاتِ، وَاكْتِسَابُ مَعَارِفِهِ وَمَهَارَاتِهِ.

---

(١) (السِّيرَة النَّبَوِيَّة) لابْنِ هِشَامٍ (١/ ٦٥٦).

(٢) الأَعْيَارُ: جَمْعُ (عِير)؛ وَهُوَ الحِمَارُ. وَالعِرَاكُ: المَحِيضُ، عَرَكَتِ المَرْأَةُ تَعْرُكُ عَرْكًا وَعِرَاكًا وَعُرُوكًا، وَهِيَ عَارِكٌ، وَأَعْرَكَتْ وَهِيَ مُعْرِكٌ: حَاضَتْ. وَالمَعْنَى: فِي حَالِ المُسَالَمَةِ؛ كَأَنَّهُمُ الحَمِيرُ. وَفِي الحَرْبِ كَأَنَّهُمُ النِّسَاءُ الحُيَّضُ.

(٣) (التِّقانَة) أَوْ (التِّقْنِيَة) أَوْ (التِّكْنُولُوجِيَا) وِفْقَ الكَلِمَةِ اليُونَانِيَّةِ: (τεχνολογία). وَهِيَ تَتَكَوَّنُ مِنْ مَقْطَعَيْنِ؛ الأَوَّلِ (تِكْنُو techno) وَالَّذِي يَعْنِي: (الفَنَّ وَالصِّنَاعَةَ)، وَالمَقْطَعِ الثَّانِي (لُوجِيَا logia) وَالَّذِي يَعْنِي: (عِلْمَ).

وَاصْطِلاحًا: هِيَ كُلُّ مَا قَامَ الإِنْسَانُ بِعَمَلِهِ، وَكُلُّ التَّغْيِرَاتِ الَّتِي أَدْخَلَهَا عَلَى الأَشْيَاءِ المَوْجُودَةِ فِي الطَّبِيعَةِ، وَالأَدَوَاتِ الَّتِي صَنَعَهَا لِمُسَاعَدَتِهِ فِي أَعْمَالِهِ. فَهِيَ تَشْمَلُ الأَدَوَاتِ البَسِيطَةَ؛ كَالوَرَقِ وَالأَقْلاَمِ وَالخَيْطِ وَالنَّعْلِ وَمِفْتَاحِ العِلَبِ، ... وَهِيَ تَدْخُلُ فِي كَافَّةِ مَنَاحِي الحَيَاةِ المُخْتَلِفَةِ وَفِي كُلِّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ؛ فَتَدْخُلُ فِي: الغِذَاءِ وَالطَّعَامِ وَالدَّوَاءِ=

فَإِنَّ (الإِبْدَاعَ) لاَ يَعْنِي ضَرْبًا مِنَ المُجَازَفَةِ الغَارِقَةِ فِي السَّذَاجَةِ، وَإِيجَادَ التَّنَاقُضِ الحَادِّ وَالإِشْكَالِيَّةِ بَيْنَ: (إِرْثِ أَسْلاَفِنَا)، وَ(جَدِيدِ عَصْرِنَا).

بَلِ الصَّوَابُ: التَّعَلُّمُ وَالاسْتِفَادَةُ مِنْ (إِرْثِ المَاضِي) [فَهُوَ المَنَارَةُ؛ لاَ الدَّعْوَةَ إِلَى أُفُولِهِ]، وَ(رُؤْيَةُ الحَاضِرِ) [فَهُوَ وَاقِعُنَا الَّذِي نَحْيَاهُ]، مَعَ تَلْبِيَةِ (تَوَقُّعَاتِ المُسْتَقْبَلِ) [الَّذِي نَمْضِي إِلَيْهِ وَنَأْمَلُ أَنْ يَكُونَ ...] وَاسْتِشْرَافِهِ، وَالأَخْذِ بِـ(الجَدِيدِ النَّافِعِ) [دُونَ الانْبِهَارِ المُرْدِي].

❁❁❁❁❁

إِنَّ بَعْضَهُمْ يَتَصَوَّرُ أَنَّ (الإِبْدَاعَ الفِكْرِيَّ) يَقُومُ عَلَى قَانُونِ (البَلْطَجَةِ) [الَّتِي رَاجَ سُوقُهَا فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ]:

١. عُلُوّ الضَّجِيجِ؛ مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى اسْتِعَانَةِ وَاسْتِفَادَةِ (البَلْطَجَةِ الفِكْرِيَّةِ المُعَاصِرَةِ)؛ مِنَ (الدُّجْمَاطِيقِيِّينَ)[1]، .....

=وَالمَلْبَسِ وَالسَّكَنِ وَالأَدَوَاتِ وَالمُوَاصَلاَتِ وَالاتِّصَالاَتِ وَالتَّرْفِيهِ وَالرِّيَاضَةِ وَالتَّعَلُّمِ وَالعَدِيدِ غَيْرِهَا.

وَإِنْ كَانَ المُصْطَلَحُ يُسْتَعْمَلُ عَادَةً ضِمْنَ مَجَالٍ مُعَيَّنٍ مِنَ (التِّقْنِيَةِ)، وَخَاصَّةً فِي (التِّقْنِيَةِ العُلْيَا) أَوْ (إِلِكْتِرُونِيَّاتِ المُسْتَهْلِكِ).

(١) (الدُّجْمَاطِيقِيَّة Dogmatis) وَتَعْنِي: الاعْتِقَاد الجَازِم، أَوِ القَطْعِيَّة، أَوِ التَّوْكِيدِيَّة.

فَهِيَ نَزْعَةٌ تَأْكِيدِيَّةٌ أَوْ قَطْعِيَّةٌ؛ يَزْعُمُ أَحَدُهُمْ (الدُّجْمَاطِيقِيّ) أَنَّ مَذْهَبَهُ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ سَائِرَ=

(البَرَجْمَاتِيِّينَ)[1]، .....

=المَذَاهِبِ خَطَأٌ. وَالوَاحِدُ مِنْهُمْ يَجْعَلُ مِنْ كُلِّ حَيَاتِهِ عَقَائِدَ لاَ تُنَاقَشُ؛ بِمَا فِي ذَلِكَ الأُمُورُ اليَوْمِيَّةُ العَادِيَّةُ؛ وَالَّتِي قَدْ تَكُونُ قَابِلَةً لِلأَخْذِ وَالرَّدِّ وَالتَّعْدِيلِ.

(١) (البَرَجْمَاتِيَّةُ pragmatism): الذَّرَائِعِيَّةُ النَّفْعِيَّةُ، وَتَقُومُ عَلَى التَّجْرِيبِ العَمَلِيِّ لأَيِّ فِكْرَةٍ مِنَ الأَفْكَارِ؛ فَالفِكْرَةُ لَيْسَتْ صَحِيحَةً أَوْ بَاطِلَةً فِي ذَاتِهَا؛ وَلَكِنْ بِحَسَبِ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُحَقِّقَهُ لِلإِنْسَانِ مِنْ نَفْعٍ فِي حَيَاتِهِ العَمَلِيَّةِ. كَمَا تَقُومُ عَلَى التَّعَصُّبِ الشَّدِيدِ لِلرَّأْيِ.

وَ(البَرَجْمَاتِيَّةُ pragmatism) اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ اللَّفْظِ اليُونَانِيِّ (بَرَاجْمَا) (pragme) ويتَعْنِي (العَمَل). وَعَرَّفَهَا قَامُوسُ (وِيبِسْتَر) العَالَمِيُّ (Webster) بِأَنَّهَا "تَيَّارٌ فَلْسَفِيٌّ أَنْشَأَهُ (شَارْلِز بِيرْس) (price) [(١٨٣٩ ـ ١٩١٤م)]، وَ(وِلْيَام جِيمْس William James) [(١٨٤٢ ـ ١٩١٠م)] يَدْعُو إِلَى أَنَّ حَقِيقَةَ كُلِّ المَفَاهِيمِ لاَ تَثْبُتُ إِلاَّ بِالتَّجْرُبَةِ العِلْمِيَّةِ".

وَقَدْ جَعَلَهَا أَصْحَابُهَا بِأَنَّهَا طَرِيقَةٌ لِلتَّفْكِيرِ وَنَظَرِيَّةٌ لِلْبَحْثِ. وَهِيَ تَجْمَعُ بَيْنَ مَذْهَبَيْنِ قَدِيمَيْنِ؛ هُمَا: (السُّوفُسْطَائِيَّة) [الَّتِي تَقُومُ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ هُوَ وَحْدَهُ مِعْيَارُ المَعْرِفَةِ، وَهُوَ مِقْيَاسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ (السُّوفُسْطَائِيُّونَ) يَقُومُونَ بِمِهْنَةِ تَعْلِيمِ أَبْنَاءِ الطَّبَقَةِ الأُرْسْتِقَرَاطِيَّةِ مِنَ اليُونَانِيِّينَ كَيْفِيَّةَ البَرْهَنَةِ عَلَى القَوْلِ وَنَقِيضِهِ؛ مُقَابِلَ أُجُورٍ مُرْتَفِعَةٍ].

وَ(الأَبِيقُورِيَّة) [وَهِيَ نِسْبَةً لِـ(أَبِيقُور) (٣٤١ ـ ٢٧٠ ق.م)، وَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى حَيَاةِ اللَّذَّةِ السَّهْلَةِ، وَأَنْ يَتَحَرَّرَ النَّاسُ مِنَ الخَوْفِ مِنَ (الدِّينِ) لأَنَّهُ يَقُومُ عَلَى الجَهْلِ وَيُزِيدُهُ، وَيَظْلِمُ الحَيَاةَ، وَعِنْدَهُ لَيْسَ فِي الفَلْسَفَةِ إِلاَّ قَضِيَّتَانِ اثْنَتَانِ مُؤَكَّدَتَانِ؛ وَهُمَا: اللَّذَّةُ خَيْرٌ،=

(المَاكِيَافِيلِّيِينَ)[1] [النَّفْعِيِّينَ، الوُصُولِيِّينَ، الانْتِهَازِيِّينَ]، مِمَّنْ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ

=وَالأَلَمُ شَرٌّ].

وَيُؤَكِّدُ (جِيمْس) الَّذِي طَوَّرَ هَذَا الفِكْرَ وَنَظَّرَ لَهُ فِي كِتَابِهِ (البَرَجْمَاتِيَّةُ pragmatism)، بِأَنَّ (البَرَجْمَاتِيَّةَ) لاَ تَعْتَقِدُ بِوُجُودِ حَقِيقَةٍ مِثْل الأَشْيَاءِ مُسْتَقِلَّةً عَنْهَا. فَالحَقِيقَةُ هِيَ مُجَرَّدُ مَنْهَجٍ لِلتَّفْكِيرِ، كَمَا أَنَّ الخَيْرَ هُوَ مَنْهَجٌ لِلْعَمَلِ وَالسُّلُوكِ؛ فَحَقِيقَةُ اليَوْمِ قَدْ تُصْبِحُ خَطَأَ الغَدِ؛ فَالمَنْطِقُ وَالثَّوَابِتُ الَّتِي ظَلَّتْ حَقَائِقَ لِقُرُونٍ مَاضِيَةٍ لَيْسَتْ حَقَائِقَ مُطْلَقَةً، بَلْ رُبَّمَا أَمْكَنَنَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّهَا خَاطِئَةٌ.

أَمَّا (جُون دِيوِي) [(١٨٥٩ـ ١٩٥٢م)] فَقَدْ وَصَفَ البَرَاجْمَاتِيَّةَ؛ بِأَنَّهَا: "فَلْسَفَةٌ مُعَاكِسَةٌ لِلْفَلْسَفَةِ القَدِيمَةِ الَّتِي تَبْدَأُ بِالتَّصَوُّرَاتِ، وَبِقَدْرِ صِدْقِ هَذِهِ التَّصَوُّرَاتِ تَكُونُ النَّتَائِجُ، أَمَّا (البَرَجْمَاتِيَّةُ) فَهِيَ تَدَعُ الوَاقِعَ يَفْرِضُ عَلَى البَشَرِ مَعْنَى الحَقِيقَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ حَقٌّ أَوْ حَقِيقَةٌ ابْتِدَائِيَّةٌ تَفْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى الوَاقِعِ". وَعِنْدَهُ أَنَّ عَمَلَ العَقْلِ هُوَ خِدْمَةُ الحَيَاةِ لاَ أَنْ يَعْرِفَ!

وَيَقُولُ(جُون دِيوِي) أَيْضًا بِأَنَّ الأَفْكَارَ الصَّالِحَةَ هِيَ الأَفْكَارُ القَابِلَةُ لِلتَّنْفِيذِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ قِيمَتِهَا الأَخْلاَقِيَّةِ، وَهُوَ مَا يَحْدُثُ فِي أَمْرِيكَا فِعْلاً.

وَلِذَا؛ فَـ(البَرَجْمَاتِيَّةُ العَلْمَانِيَّةُ) مَذْهَبٌ فَلْسَفِيٌّ أَمْرِيكِيٌّ.

(١) نِسْبَةً إِلَى المُفَكِّرِ وَالفَيْلَسُوفِ وَالسِيَاسِيِّ الإِيطَالِيِّ (نِيكُولاَ دِي بِرْنَارْدُو دِي مَاكِيَافِيلِّي) (بِالإِيطَالِيَّةِ: Niccolò di Bernardo dei Machiavelli)، وُلِدَ فِي (فُلُورِنْسَا) ٣ مَايُو ١٤٦٩، وَتُوُفِّيَ فِيهَا فِي ٢١ يُونْيُو ١٥٢٧، وَأَشْهَرُ كُتُبِهِ عَلَى الإِطْلاَقِ؛ كِتَابُ (الأَمِير)؛ وَقَدْ نُشِرَ بَعْدَ مَوْتِهِ بِخَمْسِ سِنِينَ، وَكَانَ صُورَةً مُبَكِّرَةً لِلنَّفْعِيَّةِ وَالوَاقِعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ. وَقَدْ=

بِـ"النُّخَبِ" أَوِ "الصَّفْوَةِ"؛ [وَهُمْ -فِي الحَقِيقَةِ- لَيْسُوا بِـ(نُخْبَةٍ) وَلاَ (صَفْوَةٍ)، وَيَنْسُونَ أَصْلَهُمْ (وَمِنْ أَيِّ بِيئَةٍ خَرَجُوا)، وَلاَ يُمَثِّلُونَ شَعْبَهُمْ (فَكَثِيرًا مَا تَرَى أَحَدَهُمْ يُمَثِّلُ سَلَّةَ قَاذُورَاتِ مُجْتَمَعِهِ النَّتِنِ العَفِنَةِ)]، هَذِهِ النَّمَاذِجُ المُتَكَبِّرَة .. المُنْتَفِشَة [مِثْلُ الدِّيُوكِ الرُّومِيِّ] [﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (إبراهيم/ ٤٢)، أَيْ: أَفْئِدَتُهُمْ فَارِغَةٌ كَالهَوَاءِ فِي الخُلُوِّ مِنَ العَقْلِ وَالإِدْرَاكِ]، وَالَّذِينَ يُعَانُونَ مِنَ مَرَضِ (الشُّعُورِ بالعَظَمَةِ وَالطَّاوُوسِيَّة وَالعَجْرَفَةِ)[1] .....

=فُصِّلَتْ نَظَرِيَّاتُ (مَاكِيَافِيلِّي) فِي القَرْنِ العِشْرِينَ، وَقَدْ تَأَثَّرَ بِهِ (مُوسُولِينِيّ) وَ(هِتْلَر). وَقَدْ دَعَا إِلَى المَبْدَأِ الخَبِيثِ (الغَايَة تُبَرِّرُ الوَسِيلَةَ)؛ أَيْ: إِضْفَاءُ صِفَةِ المَشْرُوعِيَّةِ لِجَمِيعِ السُّبُلِ وَالوَسَائِلِ الَّتِي تُؤَهِّلُ الوُصُولَ لِلْهَدَفِ مَهْمَا كَانَتْ قَاسِيَةً أَوْ ظَالِمَةً وَلاَ أَخْلاَقِيَّةً. وَهُوَ مَبْدَأٌ يَرْفُضُهُ الإِسْلاَمُ.

(١) ذِهَانُ الهَذَاءِ (البَارَانُويَا Paranoia) (Paranoid) أَوْ «جُنُون العَظَمَةِ» وَ«جُنُون الاضْطِهَادِ»، وَيُعْرَفُ أَحْيَانًا بِاسْمِ «رَدّ فِعْلِ الهَذَاءِ»؛ الَّذِي يُعْتَبَرُ مِنْ بَيْنِ الأَمْرَاضِ العَقْلِيَّةِ الخَطِيرَةِ. وَهُوَ مُصْطَلَحٌ اسْتَخْدَمَهُ (أَبْقْرَاط) لِوَصْفِ المَرَضِ العَقْلِيِّ، وَاسْتَخْدَمَهُ (فُوجِل) سَنَةَ ١٧٩٤م لِلدَّلاَلَةِ عَلَى اضْطِرَابَاتِ العَمَلِيَّاتِ الذِّهْنِيَّةِ.

الكَلِمَةُ «بَارَانُويَا» تَرْجِعُ إِلَى اللُّغَةِ اليُونَانِيَّةِ، وَتَتَكَوَّنُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ: «بَارَا» أَيْ: بِجَانِبِ أَوْ مَا بَعْدُ، وَ«نُوس» وَتَعْنِي: «عَقْل»، وَيُعَبِّرُ لَفْظُ «بَارَانُويَا» عَنْ إِحْسَاسِ الإِنْسَانِ العَمِيقِ وَالمُفْرِطِ بِالذُّعْرِ وَالقَلَقِ. =

=وَهُوَ اضْطِرَابُ ذِهَانِيٌّ وَظِيفِيٌّ يَتَمَيَّزُ بِالأَوْهَامِ وَالهَذَيَانِ الوَاضِحِ المُنَظَّمِ الثَّابِتِ، وَالمُعْتَقَدَاتِ الخَاطِئَةِ عَنْ مَشَاعِرِ العَظَمَةِ وَالاضْطِهَادِ؛ مَعَ الاحْتِفَاظِ بِالتَّفْكِيرِ المَنْطِقِيِّ. فَهَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ -رُغْمَ وُجُودِ المَرَضِ- تَكُونُ مُتَمَاسِكَةً وَمُنْتَظِمَةً نِسْبِيًّا وَعَلَى اتِّصَالٍ لَا بَأْسَ بِهِ بِالوَاقِعِ، وَلَا يُرَافِقُهُ تَغَيُّرٌ فِي السُّلُوكِ العَامِّ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تُوحِي بِهِ الأَوْهَامُ وَالهَذَيَانَاتُ.

وَيَنْتَشِرُ هَذَا الاضْطِرَابُ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ العُلْيَا وَالمُثَقَّفَةِ أَكْثَرَ مِنْهُ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ الدُّنْيَا وَالجَاهِلَةِ، وَبَعْضُهُمْ يُفَسِّرُ ذَلِكَ بِأَنَّ المَطَامِحَ الكُبْرَى المُسْتَحِيلَةَ الَّتِي يَحْتَضِنُهَا أَبْنَاءُ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ (العُلْيَا وَالمُثَقَّفَةِ) تَجْعَلُهُ يَنْظُرُ لِنَفْسِهِ كَكَائِنٍ مُتَنَاهٍ فِي الصِّغَرِ أَمَامَ مَطَامِحٍ يَسْتَحِيلُ تَحْقِيقُهَا، وَيَعِيشُ فِي دَوَّامَةٍ صَعْبَةٍ تَجْعَلُهُ يَنْدَفِعُ لِبُلُوغِ القِمَّةِ بَعْدَ زَيْفِ نَزَعَاتِهِ وَكَبْتِهَا وَإِخْفَاءِ طَبِيعَتِهَا الدَّنِيئَةِ، عَلَى العَكْسِ مِنْ أَفْرَادِ الطَّبَقَاتِ الدُّنْيَا وَالجَاهِلَةِ الَّتِي تَكُونُ طُمُوحَاتُهَا مَحْدُودَةً.

وَ«بَارَانُويَا» هُوَ عُنْوَانُ كِتَابٍ صَدَرَ مُؤَخَّرًا بِاللُّغَةِ الرُّوسِيَّةِ؛ وَيَحْكِي جَوَانِبَ قِصَّةِ الرُّعْبِ وَالقَلَقِ المُسَيْطِرَيْنِ عَلَى حَيَاةِ النَّاسِ فِى ظِلِّ طُغْيَانِ الأَنْظِمَةِ الدِّيكْتَاتُورِيَّةِ.

فَمِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكْسَبَ أَيُّ دِيكْتَاتُورٍ أَيَّ انْتِخَابَاتٍ -حَتَّى لَوْ كَانَتْ حُرَّةً- نَظَرًا لِسَيْطَرَتِهِ وَسَيْطَرَةِ نِظَامِهِ شِبْهِ التَّامَّةِ عَلَى عَقْلِ وَوِجْدَانِ شَعْبِهِ وَعَلَى حَيَاتِهِ العَمَلِيَّةِ أَيْضًا. فَسِيَادَةُ الـ«بَارَانُويَا» يَنْتُجُ عَنْهَا تَعَاوُنُ النَّاسِ مَعَ السُّلْطَةِ؛ حَيْثُ تَلْهَثُ نِسْبَةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا مِنَ الشَّعْبِ المَحْكُومِ وَرَاءَ السُّلْطَةِ، فِى إِطَارِ القَلَقِ وَالرُّعْبِ المَفْرُوضَيْنِ مِنْ أَعْلَى، فَالإِحْسَاسُ بِالعَجْزِ النَّاتِجِ عَنْ ذَلِكَ يُشَكِّلُ أَحَدَ أَهَمِّ عَنَاصِرِ التَّأْثِيرِ لأَوْضَاعِ المَرْءِ الخَاضِعِ لِلْقَمْعِ؛ وَالَّتِى عَادَةً مَا تُفَرِّغُ حَيَاةَ الفَرْدِ مِنْ أَيِّ مَضْمُونٍ أَوْ مَعْنًى، وَتَسُودُ حَالَةُ التَّشَاؤُمِ وَاليَأْسِ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ تَطْهِيرِ المُجْتَمَعِ مِنَ التَّلَوُّثِ الَّذِى يُولِّدُ وَيَسُودُ.

وَ(النَّرْجِسِيَّةِ)[1] وَ(السَّادِيَّةِ)[2] [المُتَّمَتِّع بِتَعْذِيبِ الآخَرِينَ]، وَ(الإِيجُوسِنْتَرِيَّةِ)[3]

---

(١) كَلِمَةُ (النَّرْجِسِيَّة) جَاءَتْ مِنَ اللُّغَةِ اليُونَانِيَّةِ مِنْ لَفْظِ (Narcissus) وَتَعْنِي: المُغَالاَة فِي الذَّاتِ وَحُبِّ النَّفْسِ وَالإِعْجَابِ بِهَا، وَهُوَ اضْطِرَابٌ فِي الشَّخْصِيَّةِ حَيْثُ تَتَمَيَّزُ بِالغُرُورِ، وَالتَّعَالِي، وَالشُّعُورِ بِالأَهَمِّيَّةِ، وَمُحَاوَلَةِ الكَسْبِ وَلَوْ عَلَى حِسَابِ الآخَرِينَ. فَالشَّخْصُ النَّرْجِسِيُّ يَشْعُرُ أَنَّهُ كَـ(الطَّاوُوسِ) (المُتَفَرِّد) أَنَانِيٌّ، عَاشِقٌ لِنَفْسِهِ، وَيَرَى أَنَّهُ الأَفْضَلُ وَالأَجْمَلُ وَالأَذْكَى، وَيَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ فَوْقَ الجَمِيعِ وَفَوْقَ كُلِّ نَقْدٍ (لأَنَّهُ لاَ يَرَى لِنَفْسِهِ خَطَأً)، وَيَرَى النَّاسَ أَقَلَّ مِنْهُ؛ وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَسْتَبِيحُ لِنَفْسِهِ اسْتِغْلاَلَ النَّاسِ وَالسُّخْرِيَّةَ مِنْهُمْ.

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ نِسْبَةً إِلَى أُسْطُورَةٍ يُونَانِيَّةٍ؛ وَرَدَ فِيهَا أَنَّ (نَارِيس) كَانَ آيَةً فِي الجَمَالِ وَقَدْ عَشَقَ نَفْسَهُ عِنْدَمَا رَأَى وَجْهَهُ فِي المَاءِ؛ فَظَلَّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا حَتَّى مَاتَ.

(٢) (السَّادِيَّةُ) (حُبُّ التَّعْذِيبِ) (الهَوَسُ بِالعُنْفِ): هِيَ الحُصُولُ عَلَى اللَّذَّةِ وَالمُتْعَةِ بِتَعْذِيبِ الآخَرِينَ، وَيُنْسَبُ مُصْطَلَحُ (السَّادِيَّة) إِلَى الرِّوَائِيِّ الفَرَنْسِيِّ (دُونَاتِيَنْ أَلْفُونْس فَرَانْسُوَ) (مَارْكِيز دِي سَاد marquis de sade) (١٧٤٠ – ١٨١٤)؛ الَّذِي اشْتُهِرَ بِمُؤَلَّفَاتِهِ ذَاتِ المُحْتَوَى العَنِيفِ فِي المُمَارَسَاتِ الجِنْسِيَّةِ، وَقَدْ نَشَأَ فِي طَبَقَةٍ أُرْسْتُقْرَاطِيَّةٍ، وَاشْتُهِرَ بِمُمَارَسَاتِهِ العَنِيفَةِ مَعَ النِّسَاءِ وَمُجُونِهِ الشَّدِيدِ، وَسُجِنَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ، حَتَّى طَفَحَ الكَيْلُ بِزَوْجَتِهِ مِنْ فَضَائِحِهِ المُتَتَالِيَةِ؛ فَأَمَرَتْ أَنْ يُتَّهَمَ بِالجُنُونِ وَيُقْذَفَ بِهِ فِي مَصَحَّةٍ عَقْلِيَّةٍ، وَحَدَثَ لَهَا مَا شَائَتْ. وَ(السَّادِيَّةُ) مَرَضٌ يَتَمَيَّزُ بِنَمَطٍ شَدِيدٍ مِنَ السُّلُوكِ الوَحْشِيِّ، وَاحْتِقَارِ الآخَرِينَ، وَالعُدْوَانِيَّةِ.

(٣) (الإِيجُوسِنْتَرِيَّةِ egocentricity) تَعْنِي: نَزْعَة الاسْتِقْطَابِ حَوْلَ الذَّاتِ.

[فَلاَ يَرَى أَحَدُهُمْ سِوَى نَفْسِهِ، وَنَفْسُهُ مِحْوَرُ كُلِّ أَفْعَالِهِ، وَهَدَفُهُ الرَّئِيسُ تَحْقِيقُ ذَاتِهِ وَلَوْ عَلَى حِسَابِ الآخَرِينَ، مَبْدَؤُهُ (أَنَا وَمِنْ بَعْدِي الطُّوفَانُ)] مِنْ (العَلْمَانِيِّينَ)[1]

---

(١) (العَلْمَانِيَّة secularism) هِيَ فَصْلُ الدِّينِ عَنِ النَّشَاطِ البَشَرِيِّ بِعَامَّةٍ. وَخَاصَّةً عَنِ السِّيَاسَةِ [أَيْ: رَفْض الانْصِيَاعِ لِدِينٍ إِلاَّ مَا وَافَقَ وَأُشْرِبَ مِنَ الهَوَى].

وَلَفْظَةُ (العَلْمَانِيَّة secularism) لاَ وُجُودَ لَهَا فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي بَعْضِ المَعَاجِمِ الحَدِيثَةِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ:

مَا وَرَدَ فِي مُعْجَمِ المُعَلِّمِ البُسْتَانِيّ: "العَلْمَانِيُّ: العَامِّيُّ الَّذِي لَيْسَ بِإِكْلِيرِيكِيّ".

[وَجَاء فِي نَفْسِ المُعْجَمِ: وَالكِيرُس أَوِ الإِكْلِيرَس: جَمَاعَةٌ مُفْرَزُونَ وَمُكَرَّسُونَ لِخِدْمَةِ الكَنِيسَةِ المَسِيحِيَّةِ؛ كَالشَّمَامِسَةِ وَالقَسَاوِسَةِ وَالأَسَاقِفَةِ، وَيُقَابِلُهُمُ (العَلْمَانِيُّونَ). يُونَانِيَّتُهَا: (كِلِيرَس) وَمَعْنَاهُ: قُرْعَة؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا فِي القَدِيمِ يُنْتَخَبُونَ بِالقُرْعَةِ، الوَاحِدُ: إِكْلِيرِيكِي، جَمْعُه: إِكْلِيرِيكِيُّونَ].

وَفِي (المُعْجَم العَرَبِيّ الحَدِيث): "عَلْمَانِيّ: مَا لَيْسَ كَنَسِيًّا وَلاَ دِينِيًّا".

وَفِي (المُعْجَم الوَسِيط): "العَلْمَانِيّ: نِسْبَةً إِلَى (العَلْمِ) بِمَعْنَى (العَالَمِ)، وَهُوَ خِلاَفُ: الدِّينِيّ أَوِ الكَهَنُوتِيّ.

[وَ(الكَهَنُوت): خِدْمَةُ أَسْرَارِ الكَنِيسَةِ -سُرْيَانِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ، وَ(التَّاءُ) فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ لاَ لِلتَّأْنِيثِ؛ كَتَاءِ (مَلَكُوت) وَ(جَبَرُوت)، وَدَرَجَاتُهُ ثَلاَثٌ: الشَّمَّاسُ، وَالقَسِّيسُ، وَالأُسْقُفُ. وَمَرَاتِبُهُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: القَارِي، وَالخُورِي، وَالمُطْرَان، وَالبِطْرِيَرْك، وَالبَابَا. وَفِعْلُهُ: كَهَنَ، وَتَكَهَّنَ تَكَهُّنًا؛ فَهُوَ كَاهِنٌ، ج: كَهَنَةٌ. عَنْ قَامُوس الأُسْقُفِ جِرْمَانُوس فَرَحَات ط. سنة ١٨٤٩م مَرْسِيلْيَا الفَرَنْسِيَّة].

وَجَاءَ عَلَى مَوْقِعِ (المَوْسُوعَة البِرِيطَانِيَّة Encyclopædia Britannica) كَالآتِي:=

="أَيُّ حَرَكَةٍ فِي جَمْعِيَّةٍ مُوَجَّهَةٍ بَعِيدًا عَنِ [صَرْف النَّاسِ عَنْ الاهْتِمَامِ] الآخِرَةِ (العَالَمِ الغَيْبِيّ) إِلَى الحَيَاةِ عَلَى الأَرْضِ [الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحْدَهَا]".

وَتَقُولُ (دَائِرَة المَعَارِف الأَمْرِيكِيَّة): "هِيَ: نِظَامٌ أَخْلاَقِيٌّ أُسِّسَ عَلَى مَبَادِئِ الأَخْلاَقِ الطَّبِيعِيَّةِ وَمُسْتَقِلٌّ عَنِ الدِّيَانَاتِ السَّمَاوِيَّةِ أَوِ القُوَى الخَارِقَةِ لِلطَّبِيعَةِ.."

فَالْمُصْطَلَحُ تَمَّ تَرْجَمَتُهُ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِطَرِيقَةٍ خَاطِئَةٍ، وَالأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ: (دُنْيَوِيّ) أَوْ (وَضْعِيّ) أَوْ (لاَ إِلَهِيّ) أَوْ (اللاَّدِينِيّ) إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ. فَهُوَ اصْطِلاَحٌ لاَ صِلَةَ لَهُ بِكَلِمَةِ: العِلْم، وَالمَذْهَب العِلْمِيّ. بَلْ نَفْيُ الدِّينِ وَإِبْعَادُهُ عَنْ مَجَالاَتِ الحَيَاةِ وَعَنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا: السِّيَاسِيَّة، وَالاقْتِصَادِيَّة، وَالاجْتِمَاعِيَّة، وَالفِكْرِيَّة... الخ، وَعَزْلُهُ عَنِ العَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالاقْتِصَادِ وَالسِّيَاسَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالأُسْرَةِ وَالمُجْتَمَعِ ... وَغَيْرِهَا، وَإِحْلاَلُ القَوَانِينِ وَالنُّظُمِ الوَضْعِيَّةِ مَكَانَهُ، وَالصَّدُّ عَنْ سَبِيلِ الله، وَتَعْطِيلِ حُدُودِهِ.

فَهَذَا المُصْطَلَحُ يَعْنِي: الفَصْل بَيْنَ الدِّينِ وَسُلْطَاتِ الدَّوْلَةِ، أَيْ: الاعْتِمَادُ عَلَى (القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ) بَدَلاً مِنَ (القَوَانِينِ الإِلَهِيَّةِ) فِي التَّعَامُلِ بِكُلِّ مَا يَخُصُّ إِدَارَةَ شُؤُونِ الدَّوْلَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ ....

وَقَدْ ظَهَرَتْ (العَلْمَانِيَّةُ) فِي مُقَابِلِ النَّزْعَةِ الشَّدِيدَةِ لِرِجَالِ الكَنِيسَةِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي القُرُونِ الوُسْطَى لاَزْدِرَاءِ الشُّؤُونِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالتَّأَمُّلِ فِي الله وَالحَيَاةِ الأُخْرَى، وَالَّذِينَ وَقَفُوا ضِدَّ التَّحَضُّرِ وَالتَّقَدُّمِ فِي الغَرْبِ زَاعِمِينَ أَنَّ الدِّينَ يَحْرُمَ العِلْمَ التَّجْرِيبِيَّ وَالاخْتِرَاعَاتِ وَالاكْتِشَافَاتِ النَّاتِجَةِ عَنْهُ.

وَانْتَهَى الصِّرَاعُ بِإِبْعَادِ الكَنِيسَةِ وَرِجَالِهَا إِلَى التَّقَوْقُعِ دَاخِلِ جُدْرَانِ الكَنِيسَةِ فَقَطْ وَلاَ دَخْلَ لَهُمْ بِمَا هُوَ خَارِجُهَا. =

[(اللاَّ دِينِيِّينَ)، الَّذِينَ يَأْبُونَ الانْصِيَاعَ لِـ(القَوَانِينِ الإِلَهِيَّةِ)]، وَ(اللِّيبْرَالِيِّينَ)[1]،

= فَـ(العَلْمَانِيَّةُ) فِكْرَةٌ تَمَخَّضَتْ نَتِيجَةَ صِرَاعٍ دَامِيٍّ وَطَوِيلٍ بَيْنَ طَبَقَاتِ المُجْتَمَعِ وَرِجَالِ الدِّينِ (الكَهَنُوتِ) فِي أُورُبَّا؛ إِلَى أَنْ تَمَّ الانْتِصَارُ لأَصْحَابِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى أَصْحَابِ الكَهَنُوتِ فِي الكَنِيسَةِ. فَمِنْ أَسْبَابُ ظُهُورِهَا فِي الغَرْبِ:

أَوَّلاً: طُغْيَانُ رِجَالِ الكَنِيسَةِ وَفَسَادُ أَحْوَالِهِمْ، وَاسْتِغْلاَلُ سُلْطَتِهِم الدِّينِيَّةِ لِتَحْقِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَإِرْضَاءِ شَهَوَاتِهِمْ. [وَلَا بُدَّ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ مَا هُوَ مِنْ مَصْدَرٍ عُلْوِيٍّ مُقَدَّسٍ وَبَيْنَ كَلاَمِ البَشَرِ] [وَالإِسْلاَمُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّحْرِيفِ فِي كِتَابِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَلَيْسَ فِيهِ كَهَنُوت]

ثَانِيًا: الصِّرَاعُ بَيْنَ الكَنِيسَةِ وَالعِلْمِ. [وَالإِسْلاَمُ -بِحَمْدِ الله- لاَ تَعَارُضَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العِلْمِ]

ثَالِثًا: طَبِيعَةُ التَّعَالِيمِ النَّصْرَانِيَّةِ الَّتِي لاَ تَتَسَايَر مَعَ الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ. [عَكْس الإِسْلاَمِ]

وَقَدْ أَدَّى إِبْعَاد الدِّينِ وَشَرْعِ الله عَنْ مَجَالاَتِ الحَيَاةِ فِي المُجْتَمَعَاتِ الأُورُوبِيَّةِ إِلَى الإِفْلاَسِ وَالخَوَاءِ الرُّوحِيِّ، وَالحَيْرَةِ وَالضَّيَاعِ، وَعَدَمِ الطُّمَأْنِينَةِ وَفُقْدَانِ الرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ.

فَـ(العَلْمَانِيَّةُ) -فِي مِيزَانِ الإِسْلاَمِ- مَفْهُومٌ جَاهِلِيٌّ [لاَ صِلَةَ لَهُ بِالعِلْمِ] يَتَعَارَضُ مَعَ الإِسْلاَمِ تَعَارُضًا تَامًّا فِي شَتَّى المَجَالاَتِ؛ لأَنَّ الإِسْلاَمَ دِينٌ مُتَكَامِلٌ جَاءَ لِيُنَظِّمَ الحَيَاةَ كُلَّهَا وَيُوَجِّهُ النَّاسَ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

(١) اللِّيْبَرَالِيَّة (Liberalism): اشْتُقَّتْ الكَلِمَةُ مِنْ (لِيبْر liber)، وَهِيَ كَلِمَةٌ لاَتِينِيَّةٌ تَعْنِي (الحُرّ).

وَ(اللِّيْبَرَالِيَّة) تَقُومُ عَلَى أَنَّ الفَرْدَ هُوَ الأَسَاسُ [مَبْدَأُ (الفَرْدِيَّةِ)]؛ يَخْرُجُ إِلَى هَذِهِ الحَيَاةِ فَرْدًا حُرًّا لَهُ الحَقُّ فِي الحَيَاةِ أَوَّلاً، وَمِنْ هَذَا الفَرْدِ وَحَوْلَهُ تَدُورُ فَلْسَفَةُ الحَيَاةِ بِرُمَّتِهَا، وَتَنْبُعُ القِيَمُ الَّتِي تُحَدِّدُ الفِكْرَ وَالسُّلُوكَ مَعًا. كَمَا تَقُومُ أَيْضًا عَلَى مَبْدَأَ: (العَلْمَانِيَّةِ)، وَ(العَقْلاَنِيَّةِ).

وَهِيَ مَذْهَبٌ فِكْرِيٌّ وَسِيَاسِيٌّ يَقُومُ عَلَى مَبْدَأِ (الاسْتِقْلاَلِيَّةِ) لِلأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ وَالدُّوَلِ،=

=وَيُنَادِي بِـ(الحُرِّيَّةِ المُطْلَقَةِ) [حُرِيَّة الفِكْرِ وَالتَّدَيُّنِ المُطْلَقَةِ]، وَاسْتِقْلاَلِ الفَرْدِ، وَالْتِزَامِ الحُرِّيَّاتِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالنِّسْبِيَّةِ الأَخْلاَقِيَّةِ، وَحِمَايَةِ الحُرِّيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالمَدَنِيَّةِ وَالتَّعَدُّدِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ. وَتَهْدِفُ لِتَحْرِيرِ الإِنْسَانِ كَفَرْدٍ وَكَجَمَاعَةٍ مِنَ القُيُودِ السُّلْطَوِيَّةِ الثَّلاَثَةِ (الاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ)، وَالمُطَالَبَةِ بِإِصْلاَحِ الدِّينِ [طِبْقًا لِلأَهْوَاءِ]، وَحُرِّيَّةِ الفَرْدِ فِي تَشْكِيلِ حَيَاتِهِ الرُّوحِيَّةِ، وَفَصْلِ الدِّينِ عَنِ الدَّوْلَةِ، وَإِخْضَاعِ المُقَدَّسِ (كَالقُرْآنِ؛ مَثَلاً) وَالتُّرَاثِ لِلنَّقْدِ العِلْمِيِّ، وَتَطْبِيقِ الاسْتِحْقَاقَاتِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَسِيَادَةِ القَانُونِ المَدَنِيِّ.

وَقَدْ تَتَحَرَّكُ وِفْقَ أَخْلاَقِ وَقِيَمِ المُجْتَمَعِ الَّذِي يَتَبَنَّاهَا، فَتَتَكَيَّفُ حَسَبَ ظُرُوفِ كُلِّ مُجْتَمَعٍ، وَتَخْتَلِفُ مِنْ مُجْتَمَعٍ غَرْبِيٍّ مُتَحَرِّرٍ إِلَى مُجْتَمَعٍ شَرْقِيٍّ مُحَافِظٍ. [فَلَيْسَتْ لَهَا صُورَةٌ مُحَدَّدَةٌ]

وَمَعْنَى (اللِّيْبَرَالِيَّة) الحَقِيقِيّ: التَّحَرُّرُ التَّامُّ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ (الإِكْرَاهِ) الخَارِجِيِّ أَوْ الدَّاخِلِيِّ، سَوَاءٌ كَانَ دَوْلَةً أَمْ جَمَاعَةً أَمْ فَرْدًا، ثُمَّ التَّصَرُّفُ وِفْقَ مَا يُمْلِيهِ (قَانُونُ النَّفْسِ) وَرَغَبَاتُهَا، وَالانْطِلاَقُ نَحْوَ تَكْرِيسِ (الحُرِّيَّاتِ) ضِمْنَ (عَقْدٍ اجْتِمَاعِيٍّ) تَتَّفِقُ عَلَيْهِ (الأَغْلَبِيَّةُ) بِكُلِّ صُوَرِهَا المَادِيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ بَيْنَ الدَّوْلَةِ وَالمُجْتَمَعِ. وَلَهَا عِدَّةُ مَبَادِئ؛ مِنْهَا:

- أَوَّلاً: العَلْمَانِيَّةُ: وَهِيَ فَصْلُ الدِّينِ عَنِ السِّيَاسَةِ، كَمَا تَعْنِي مَضْمُونًا فَصْلَ الدِّينِ عَنِ النَّشَاطِ البَشَرِيِّ بِعَامَّةٍ. [أَيْ: رَفْض الانْصِيَاعِ لِدِينٍ إِلاَّ مَا وَافَقَ وَأُشْرِبَ مِنَ الهَوَى]
- ثَانِيًا: العَقْلاَنِيَّة: وَتَعْنِي الاسْتِغْنَاءَ عَنْ كُلِّ مَصْدَرٍ مِنَ (الخَيَالِيَّةِ) فِي الوُصُولِ إِلَى الحَقِيقَةِ [أَيْ: رَفْض (الوَحْيِ)؛ فَـ(الوَحْيِ) عِنْدَهُمْ ضَرْبٌ مِنَ (الخَيَالِ)]
- ثَالِثًا: الإِنْسَانِيَّة: فَتُؤْمِنُ بِالدِّفَاعِ عَنْ (حُرِّيَّةِ) الفَرْدِ (الإِنْسَان)، وَتَرْعَى مَصْلَحَتَهُ وَكَفَاءَتَهُ فِي وَطَنِهِ أَوْ حَتَّى فِي العَالَمِ. [أَيْ: المُنَادَاة بِـ(الحُرِّيَّةِ المُطْلَقَةِ) غَيْرِ المُنْضَبِطَةِ؛ الَّتِي يَضَعُ حُدُودَهَا (الإِنْسَانُ) لِنَفْسِهِ دُون قُيُودٍ مِنْ أَحَدٍ، فَكُلُّ (إِنْسَانٍ) (إِلَهٌ) لِنَفْسِهِ!!!]

وَمِنْ حَقِّ (الحَيَاةِ) وَ(الحُرِّيَّةِ) هَذَا تَنْبُعُ بَقِيَّةُ الحُقُوقِ المُرْتَبِطَةِ: =

هَؤُلاَءِ الغَرِيبُونَ عَنْ شُعُوبِهِمْ وَبَنِي جِلْدَتِهِمْ (المُنْسَلِخُونَ عَنَّا) ... (المُسْتَغْرَبُونَ) [المُتَمَوْنَ -قَلْبًا وَقَالِبًا- لِلْغَرْبِ الصَّلِيبِيِّ]، الثَّرْثَارُونَ، المُتَشَدِّقُونَ، المُتَفَيْهِقُونَ[1] المُتَنَطِّعُونَ، المُتَعَالِمُونَ .....

=حَقّ الاخْتِيَارِ؛ بِمَعْنَى حَقِّ الحَيَاةِ كَمَا يَشَاءُ الفَرْدِ، لاَ كَمَا يُشَاءُ لَهُ [فَالإِنْسَانُ حُرٌّ لَهُ كَامِلُ الاخْتِيَارِ؛ بِلاَ قَيْدٍ إِلاَّ مِنْ هَوَاهُ].

وَحَقّ التَّعْبِيرِ عَنِ الذَّاتِ بِمُخْتَلَفِ الوَسَائِلِ. [دُونَ اعْتِبَارٍ لِدِينٍ أَوْ قِيَمٍ أَوْ مَبَادِئَ]

وَحَقّ البَحْثِ عَنْ مَعْنَى الحَيَاةِ وِفْقَ (قَنَاعَاتِهِ) [وَهَوَاهُ] لاَ وِفْقَ مَا يُمْلَى أَوْ يُفْرَضُ عَلَيْهِ.

خَصَائِصُ (اللِّيْبَرَالِيَّة): (اللِّيْبَرَالِيَّة) عَكْسُ (الرَّادِيكَالِيَّة)؛ فَهِيَ لاَ تَعْتَرِفُ بِمَرْجِعِيَّةٍ لِيبْرَالِيَّةٍ مُقَدَّسَةٍ؛ لأَنَّهَا لَوْ قَدَّسَتْ أَحَدَ رُمُوزِهَا إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِلِسَانِهَا، أَوْ قَدَّسَتْ أَحَدَ كُتُبِهَا إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ تَعْتَبِرَهُ المُعَبِّرَ الوَحِيدَ أَوِ الأَسَاسِيَّ عَنْهَا؛ لَمْ تُصْبِحْ (لِيبْرَالِيَّةً)، وَلأَصْبَحَتْ مَذْهَبًا مِنَ المَذَاهِبِ المُنْغَلِقَةِ عَلَى نَفْسِهَا. وَتَارِيخُ (اللِّيْبَرَالِيَّة) وَالتَّجَارِبُ (اللِّيْبَرَالِيَّة) المُتَنَوِّعَةُ، وَالنِّتَاجُ الثَّقَافِيُّ لَهَا؛ لَيْسَ مُلْزِمًا لأَيِّ لِيبْرَالِيٍّ. فَإِنَّ مَرْجِعِيَّةَ (اللِّيْبَرَالِيَّة) هِيَ فِي هَذَا الفَضَاءِ الوَاسِعِ مِنَ القِيَمِ [الَّتِي يَضَعُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ لِنَفْسِهِ] الَّتِي تَتَمَحْوَرُ حَوْلَ (الإِنْسَانِ)، وَحُرِّيَّةِ الإِنْسَانِ، وَكَرَامَةِ الإِنْسَانِ، وَفَرْدَانِيَّةِ الإِنْسَانِ.

فَـ(اللِّيْبَرَالِيَّة) تَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ اللِّيْبَرَالِيِّينَ. فَلاَ تُوجَدُ (لِيبْرَالِيَّةٌ) وَاحِدَةٌ؛ وَلَكِنْ (لِيبْرَالِيَّات)!

وَكُلُّ (لِيبْرَالِيٍّ) فَهُوَ مَرْجِعُ (لِيبْرَالِيَّتِهِ).

(١) وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا. وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ: مَسَاوِيكُمْ أَخْلاَقًا؛ الثَّرْثَارُونَ المُتَفَيْهِقُونَ المُتَشَدِّقُونَ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَغَيْرُهُمْ] =

المُتَهَوِّكُونَ(١) **الَّذِينَ يَهْرِفُونَ**(٢) **بِمَا لاَ يَعْلَمُونَ، المُتَسَرْبِلُونَ بِلِبَاسِ الوَاعِظِينَ العَالِمِينَ بِبَوَاطِنِ الأُمُورِ، الجَهَلَةُ بِدِينِ اللهِ** [يَعْلَمُونَ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا وَلاَ يَعْلَمُونَ عَنِ الآخِرَةِ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الرُّوم /٧)]، [وَيَنْسُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحُجُرَات/ ١٣)، وَرَاجِعْ حَالَ وَوَصْفَ مَنْ يُسَمِّيهِمُ (القُرْآنِ) بِـ: "المَلأِ"(٣) وَ"المُتْرَفِينَ"(٤)]،

= مَعْنَى (المُتَفَيْهِقُونَ) أَيْ: المُتَوَسِّعُونَ فِي الكَلاَمِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاطٍ وَاحْتِرَازٍ، وَيَفْتَحُونَ بِهِ أَفْوَاهَهُمْ، مَأْخُوذٌ مِنَ (الفَهْق) وَهُوَ الامْتِلاَءُ وَالاتِّسَاعُ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِـ(المُتَشَدِّقِ): المُسْتَهْزِئَ بِالنَّاسِ يَلْوِي شِدْقَهُ بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ، وَ(الشِّدْقُ): جَانِبُ الفَمِ، وَ(الأَشْدَاقُ): جَوَانِبُ الفَمِ، وَ(تَشَدَّقَ فِي كَلاَمِهِ): فَتَحَ فَمَهُ وَاتَّسَعَ.

(١) رَجُلٌ هَوَّاكٌ وَمُتَهَوِّكٌ: مُتَحَيِّرٌ. وَالأَهْوَكُ وَالأَهْوَجُ وَاحِدٌ. وَالتَّهَوُّكُ: السُّقُوطُ فِي هُوَّةِ الرَّدَى.

(٢) (الهَرْفُ): مُجَاوَزَةُ القَدْرِ فِي الثَّنَاءِ وَالمَدْحِ وَالإِطْنَابِ فِي ذَلِكَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَهْدِرُ. وَ(الهَرْفُ) مدْحُ الرَّجُلِ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ. وَفِي المَثَلِ: لاَ تَهْرِفْ بِمَا لاَ تَعْرِفُ. أَيْ: لاَ تَمْدَحُ قَبْلَ التَّجْرُبَةِ. وَالهَرْفُ: شِبْهُ الهَذَيَانِ مِنَ الإِعْجَابِ بِالشَّيْءِ، وَهَرَفَ الرَّجُلُ: إِذَا هَذَى.

(٣) (المَلأُ): الجَمَاعَةُ، وَقِيلَ: أَشْرَافُ القَوْمِ وَوُجُوهُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ وَمُقَدَّمُوهُمُ الَّذِينَ يُرْجَعُ إِلَى قَوْلِهِمْ.

(٤) التَّرَفُ: التَّنَعُّمُ، وَالتُّرْفَةُ: النَّعْمَةُ، وَالتَّتْرِيفُ: حُسْنُ الغِذَاءِ، وَصَبِيٌّ مُتْرَفٌ: إِذَا كَانَ مُنَعَّمَ البَدَنِ مُدَلَّلاً. وَالمُتْرَفُ: الَّذِي قَدْ أَبْطَرَتْهُ النَّعْمَةُ وَسَعَةُ العَيْشِ، وَأَتْرَفَتْهُ النَّعْمَةُ: أَيْ أَطْغَتْهُ. المُتْرَفُ: المُتَنَعِّمُ المُتَوَسِّعُ فِي مَلاَذِّ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا. وَرَجُلٌ مُتْرَفٌ وَمُتَرَّفٌ: مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ.=

(الأُولِيجَارْكِيَّة)[1].. مِنْ الطُّغْمَةِ الفَاسِدَةِ المُفْسِدَةِ [مِنْ أَصْحَابِ (دِيكْتَاتُورِيَّةِ الأَقَلِيَّةِ)]: مِنْ أَصْحَابِ اليَاقَاتِ المُنَشَّاةِ أَوِ المَلَابِسِ (الكَاجْوَال) ... أَصْحَابِ (المُكَيِّفَاتِ) وَالمَقَاعِدِ الوَثِيرَةِ ... أَصْحَابِ المُحَاوَرَاتِ وَالمُنَاوَرَاتِ؛ الَّذِينَ يَتَقَيَّؤُونَ رُكَامًا مِنْ (أَخْلَاطِ الكَلَامِ) [فَأَغْرَقُوا النَّاسَ فِي بَحْرٍ مُتَلَاطِمٍ مِنَ غُثَاءِ الكَلَامِ]، وَيُعَرْبِدُونَ فِي تِلْكَ الآلَةِ الإِعْلَامِيَّةِ الضَّخْمَةِ وَالعَاتِيَةِ (إِعْلَام: مَرْئِيّ وَمَسْمُوع وَمَقْرُوء) [بِأَلْسِنَةٍ وَأَقْلَامٍ عَفِنَةٍ نَجِسَةٍ]، خُصُوصًا فِي تِلْكَ (الفَضَائِيَّاتِ) السَّاحِرَةِ [المَسْخَرَةِ المُسَخَّرَةِ] [الَّتِي تَعْجِنُ وَتَبِيعُ الوَهَمَ وَالكَذِبَ] [فَضَائِيَّاتِ (السَّامِرِيِّ) وَ(مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ) وَسَاحِرِ المَلِكِ] ... (العَلْمَانِيَّةِ) وَ(اللِّيبْرَالِيَّةِ)، (المُمَوَّلَةِ، وَالمَشْبُوهَةِ، ذَاتِ الأَجِنْدَاتِ وَالتَّوَجُّهِ، بَلْ وَرُبَّمَا العَمِيلَةِ)؛ بِشِدَّةِ ضَجِيجٍ وَبَرِيقٍ وَسِحْرِ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ الحَدِيثَةِ، وَجُنُوحِهَا وَعَرْبَدَتِهَا وَمُجُونِهَا (السِّيَاسِيِّ وَالفِكْرِيِّ).

٢. وَتَصْفِيَةِ الحِسَابَاتِ؛ وَالتَّنْكِيلِ بِمُخَالِفِيهِ (لأَقَلِّ ظَنٍّ وَشُبْهَةٍ، وَبِلاَ اعْتِبَارٍ لِقِيَمٍ وَلاَ مَبَادِئَ وَلاَ أَخْلاَقٍ ...)، وَإِلْصَاقِ التُّهَمِ الكَاذِبَةِ وَالمُلَفَّقَةِ

=وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ أَيْ: أُولُو التُّرْفَةِ، وَأَرَادَ: رُؤَسَاءَهَا وَقَادَةَ الشَّرِّ مِنْهَا.

(١) (الأُولِيجَارْكِيَّة) أَوْ (الأُولِيجَارْشِيَّة) مُشْتَقَّةٌ مِنَ الكَلِمَةِ اليُونَانِيَّةِ: (ὀλιγαρχία أُولِيجَارْكِيَا): حُكْمُ القِلَّةِ هِيَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ الحُكْمِ بِحَيْثُ تَكُونُ السُّلْطَةُ السِّيَاسِيَّةِ مَحْصُورَةً بِيَدِ فِئَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ المُجْتَمَعِ تَتَمَيَّزُ بِالمَالِ أَوِ النَّسَبِ أَوِ السُّلْطَةِ العَسْكَرِيَّةِ.

بِهِمْ؛ بَلْ .. وَمِنْ (خِسَّتِهِ): التَّنْكِيل حَتَّى بِغَيْرِ مُخَالِفِيهِ [حَتَّى لاَ يَظْهَرَ غَيْرُهُ؛ فَلاَ (بَطَلَ) سِوَاهُ!!]. [وَهُنَا تَتَبَلْوَرُ (الخِسَّةُ) فِي أَخَسِّ وَأَسْوَأِ مَعَانِيهَا]

❁❁❁❁❁

وَيَعِيشُ صَاحِبُ هَذِهِ (البَلْطَجَةِ الفِكْرِيَّةِ المُعَاصِرَةِ) (النُّخْبَوِيُّ!!) فِي الأَوْهَامِ الزَّائِفَةِ [وَكَأَنَّهُ الإِمْبَرَاطُورُ الأَوْحَدِ، أَوِ المَلِكُ المُتَوَّجُ، أَوْ فُتُوَّةُ الحَارَةِ!]، أَوْ [كَأَنَّهُ المُفَكِّرُ العَبْقَرِيُّ الأَلْمَعِيُّ الأَوْحَدُ؛ الَّذِي خَرَقَ وَحْدَهُ جِدَارَ الذَّكَاءِ وَالعَبْقَرِيَّةِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي لَهُ أَنْ يُفَكِّرَ، وَيَفْهَمَ، وَيُحَلِّلَ، وَيَبْتَكِرَ ...، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّوَابِ، وَلاَ يُمْكِنُ لِغَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، .. إِنَّهُ وَحْدَهُ مُحْتَكِرُ الحَقِّ وَالحَقِيقَةِ!!!]، إِنَّهَا (الفَرْعَنَةُ) الفِكْرِيَّةُ [الَّتِي تَسِيرُ عَلَى نَظْرَةِ وَمَبْدَأِ (فِرْعُونِ)؛ الَّذِي قَالَ لأَهْلِ مِصْرَ كَذِبًا وَافْتِرَاءً: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غَافِر/ ٢٩). أَيْ: إِنَّنِي لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ مَا أَرَاهُ صَوَابًا، وَأَعْتَقِدُهُ نَافِعًا. وَإِنَّهُ لَهُوَ الصَّوَابُ وَالرُّشْدُ بِلاَ شَكٍّ وَلاَ جِدَالٍ!] وَلاَ يَسْمَحُ هَذَا (البَلْطَجِيُّ النُّخْبَوِيُّ) لأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ قَدْ يُخْطِئُ! وَلاَ يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَرَى مَعَ رَأْيِهِ رَأْيًا! ..

وَيَبْذُرُ هَذَا (البَلْطَجِيُّ النُّخْبَوِيُّ) الأَوْهَامَ حَوْلَهُ .. وَيُسَمِّمُ الجَوَّ مِنْ حَوْلِهِ [فَلاَ يَعِيشُ إِلاَّ فِي جَوٍّ مَوْبُوءٍ وَمَسْمُومٍ]؛ فَيُثِيرُ الأَزَمَاتِ المُفْتَعَلَةَ؛ حُبًّا فِي الظُّهُورِ [مَا يُسَمَّى بِـ(الشُّو Show) الإِعْلاَمِيِّ] .. وَيَطْعَنُ فِي مَنْ حَوْلَهُ وَيُكِيلُ لَهُمُ الاتِّهَامَاتِ الكَاذِبَةَ؛ وَلاَ يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِخْوَانُهُ بَلْ أَسَاتِذَتُهُ

وَمُعَلِّمُوهُ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لَنْ يَطْفُوَ عَلَى السَّطْحِ وَيَعْلُوَ إِلاَّ عَلَى أَشْلاَئِهِمْ وَتَشْوِيهِهِمْ!!!

[وَهَذَا هُوَ شُعُورُ (الأَقْزَامِ)، وَعُقْدَةُ الضَّعْفِ وَالنَّقْصِ[1]]

❁❁❁❁❁

وَبَعْضُهُمْ يتَصَوَّرُ أَنَّ (الإِبْدَاعَ الفِكْرِيَّ) يَقُومُ عَلَى الهَدْمِ الَّذِي لاَ يَقُومُ عَلَى أَسَاسٍ؛ بَلِ الهَدْمُ لِمُجَرَّدِ الهَدْمِ، فَهَذَا [المُبْدِعُ (الهَدَّامُ)] إِنْ بَنَى؛ يَبْنِي عَلَى جُرْفٍ هَارٍ سُرْعَانَ مَا يَنْهَارُ بِهِ.

❁❁❁❁❁

وَبَعْضُهُمْ يتَصَوَّرُ أَنَّ (الإِبْدَاعَ الفِكْرِيَّ) يَقُومُ عَلَى قَاعِدَةِ: "اكْذِبْ، ثُمَّ

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٢٧٣٠)، وَابْنُ مَاجَهْ (ح ٤١٣٥)، وَابْنُ حِبَّانَ (ح ٣٢١٨)، وَالبَيْهَقِيُّ (ح ١٨٢٧٩).

(السَّاقَةُ): مُؤَخَّر الجَيْشِ، وَهِيَ جَمْعُ (سَائِق)؛ وَهُمُ الَّذِينَ يَسُوقُونَ الجَيْشَ، وَيَكُونُونَ مِنْ وَرَائِهِ يَحْفَظُونَهُ. قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: "المَعْنَى أَنَّهُ خَامِلُ الذِّكْرِ لَا يَقْصِدُ السُّمُوَّ فَإِنِ اتَّفَقَ لَهُ السَّيْرُ سَارَ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ اسْتَمَرَّ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ اسْتَمَرَّ فِيهَا". فَيَلْزَمُ مِنْ سَيْرِهِ فِي مَقَامِ السَّاقَةِ صَوْنُ الضُّعَفَاءِ.

اكْذِبْ، ثُمَّ اكْذِبْ ... حَتَّى يُصَدِّقَكَ النَّاسُ"، [(الكَذِبُ المُمَنْهَجُ) (الكَذِبُ المُبَرْمَج)، إِنَّهُ (التَّكْرَار المُبَرْمَج لِلْكَذِبِ) (الكَذِبُ وَالتَّضْخِيمُ وَالمُبَالَغَةُ أَوِ التَّسْفِيهُ)][1] وَيَكُونُ الإِبْدَاعُ في أَنْ يُصَدِّقَ [هَذَا الكَذُوبُ] نَفْسَهُ! وَكَمْ مِنْ "مُتَشَبِّعٍ بِمَا لَمْ يُعْطَ" (حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)! .. [وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يُصَدِّقُ مَنْ يَمْدَحُوهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ!!!]

---

(١) صَاحِبُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ؛ هُوَ: بَاوِل جُوزِيف "جُوبِلْز" Paul Joseph "Goebbels"، نُطْقًا أَلْمَانِيّ: ['gœbəls]) (رِيدِت، أَلْمَانْيَا، ٢٩ أُكْتُوبَر ١٨٩٧ - بَرْلِين، ١ مَايُو ١٩٤٥)، وَزِيرُ الدِّعَايَةِ لِـ(هْتْلَر) فى أَلْمَانْيَا النَّازِيَّةِ (١٩٣٣- ١٩٤٥). بَرَعَ فى الخُطَبِ وَ(البُرُوبَاجَانْدَا) (الدِّعَايَة السِّيَاسِيَّة). انْتَحَرَ بَعْدَ غَزْوِ (قُوَّاتِ الحُلَفَاءِ) بَرْلِينَ فى نِهَايَةِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ وَسُقُوطِ الحُكْمِ النَّازِيِّ. يُعْتَبَرُ إِحْدَى الأَسَاطِيرِ في مَجَالِ (الحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ)، وَهُوَ أَحَدُ أَبْرَزِ مَنْ وَظَّفُوا وَاسْتَثْمَرُوا وَسَائِلَ الإِعْلَامِ في هَذِهِ الحَرْبِ، وَهُوَ صَاحِبُ شِعَارٍ شَهِيرٍ يَقُولُ: «اكْذِبْ حَتَّى يُصَدِّقَكَ النَّاسُ» فَهُوَ صَاحِبُ (الكَذِبِ المُمَنْهَجِ وَالمُبَرْمَجِ) الَّذِي اعْتَمَدَهُ لِلتَّرْوِيجِ لِمَنْهَجِ النَّازِيَّةِ وَتَطَلُّعَاتِهَا، وَيَهْدِفُ لِتَحْطِيمِ الخُصُومِ. وَهُوَ الَّذِي قَالَ: «كُلَّمَا سَمِعْتُ كَلِمَةَ (مُثَقَّفٍ) تَحَسَّسْتُ مُسَدَّسِي» وَفى رِوَايَةٍ أُخْرَى «...كَلِمَةَ (ثَقَافَةٍ)». وَيَقُولُ هِتْلَر: «إِنَّ (الرَّأْيَ العَامّ) لَا يَعْتَمِدُ عَلَى الخِبْرَةِ الشَّخْصِيَّةِ أَوْ عَلَى مَعْرِفَةِ الأَشْخَاصِ، وَهُوَ يَسْتَسْلِمُ لِلدِّعَايَاتِ الَّتِي تُسَيْطِرُ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ، وَالصَّحَافَةُ هِيَ المُوَجِّهُ الوَحِيدُ ... ». وَحَالِيًا اتَّخَذَ (التِّلْفَازُ) بِفَضَائِيَّاتِهِ هَذَا الدَّوْرَ بِجَدَارَةٍ.

وَبَعْضُهُمْ يتصَوَّرُ أَنَّ الإِبْدَاعَ الفِكْرِيَّ يَقُومُ عَلَى هَدْمِ (الثَّوَابِتِ)؛ بَلْ وَهَدْمِ (المُقَدَّسَاتِ) الشَّامِخَاتِ (ذَوَات أَوْ أَشْخَاص) [الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُفْدَى بِكُلِّ مُرْتَخَصٍ وَغَالٍ] .. سَعْيٌ لانْهِيَارِ النُّظُمِ وَالمَبَادِئِ وَالقِيَمِ وَالأَخْلاَقِ وَ...، بَلْ حَتَّى العَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ. ... وَ(يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النُّور/ ١٩).

❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ مَنْ يَقُومُ إِبْدَاعُهُ الفِكْرِيُّ عَلَى تَشْوِيهِ وَهَدْمِ الرُّمُوزِ وَالقِمَمِ وَالقَامَاتِ الشَّامِخَةِ فِي الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ؛ قَدِيمًا وَحَدِيثًا!! [كَمِثَالٍ: (الخَوَارِج) وَ(الشِّيعَة) قَدِيمًا؛ حَيْثُ طَعَنُوا فِي الصَّحَابَةِ خَيْرِ الأُمَّةِ] وَكَمَا تُحَاوِلُ أَنْ تَفْعَلَهُ تِلْكَ الأَجِنَّةُ المُشَوَّهَةُ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا [مِمَّنْ كَبُرَتْ عِنْدَهُمُ (الأَنَا) وَ(النَّرْجِسِيَّةِ) (الطَّاوُوسِيَّةِ)] وَمِنْ حُثَالَةِ أَصْحَابِ الفِكْرِ المَشْبُوهِ، وَالأَجِنْدَاتِ العَمِيلَةِ، وَسَدَنَةِ الفِكْرِ الغَرْبِيِّ. ... مَعَ مُحَاوَلَةِ تَزْوِيرِ الوَعْيِ بِـ(الذَّاتِ) وَتَزْيِيفِهِ، وَاسْتِيرَادِ (إِيدْيُولُوجِيَّاتٍ) وَمُصْطَلَحَاتٍ [مِنْ أَعْدَائِنَا] لاَ تَمُتُّ بِصِلَةٍ لِدِينِنَا وَلاَ لِوَطَنِنَا، وَإِلْقَاءِ تُهْمَةِ تَخَلُّفِنَا وَتَرَاجُعِنَا إِلَى أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ هُوَ (دِينُنَا)!!! [وَكَذَبُوا؛ فَإِنَّنَا مَا تَخَلَّفْنَا إِلاَّ يَوْمَ أَنْ تَخَلَّيْنَا عَنْ هَذَا الدِّينِ!]

إِنَّهَا فَوْضَى (الدَّعَايَةِ السَّوْدَاءِ) الَّتِي تَقُومُ عَلَى البَحْثِ عَنْ أَخْطَاءِ الآخَرِينَ، بَلْ وَإِلْصَاقِ التُّهَمِ بِهِمْ [مِثْلُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ لاَ يَحُطُّونَ إِلاَّ عَلَى الجِيَفِ،

وَلَيْسَ كَالنَّحْلِ لاَ يَحُطُّ إِلاَّ عَلَى الزُّهُورِ وَلاَ يَحْطُمُ مَا يَقِفُ عَلَيْهِ]!

وَهُنَاكَ [عَكْسُ ذَلِكَ] مَنْ يَقُومُ إِبْدَاعُهُ [لِهَوًى أَوْ لأَغْرَاضٍ فِي نَفْسِهِ] عَلَى بِنَاءِ وَرَفْعِ وَإِعْلاَءِ (أَصْنَامٍ) وَ(رُمُوزٍ) قَمِيئَةٍ مُشَوَّهَةٍ، وَنَثْرِ هَالاَتِ التَّقْدِيسِ الزَّائِفَةِ عَلَيْهَا وَالتَّمَحْوُرِ حَوْلَهَا.. [فَمَا بَالُكُمْ وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَنْ يُرْفَعَ فَوْقَ مَكَانَتِهِ؛ فَفِي البُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي (أَيْ: لاَ تَمْدَحُونِي) كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، وَنَهَى أَنْ يُقَامَ لَهُ ﷺ أَوْ لِغَيْرِهِ؛ فَعَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبّ [وَفِي رِوَايَةٍ: مَنْ سَرَّهُ] أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَامًا؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وَعَنْ أَنَس قَالَ: «لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُول اللهِ ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَته لِذَلِكَ» (صَحَّحَهُمَا الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحَتِهِ ح٣٥٧، ٣٥٨)، وَقَالَ ﷺ فِي مَوْتِ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)]

❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ مَنْ يَقُومُ إِبْدَاعُهُ الفِكْرِيُّ (بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ عَجْرَفَةٍ، وَغُرُورٍ بِالنَّفْسِ، وَإِعْجَابٍ بِالرَّأْيِ، وَكِبْرٍ عَلَى الخَلْقِ، وَسُوءِ الظَّنِّ بِالآخَرِينَ) عَلَى: السَّفْسَطَةِ وَالمِرَاءِ وَالجِدَالِ؛ فِي كُلِّ مَا لاَ طَائِلَ مِنْ وَرَائِهِ، وَمَا لاَ يَنْبَنِي عَلَيْهِ عَمَلٌ وَلاَ يُثْمِرُ [إِلاَّ أَنْ يُثْمِرَ الحَنْظَلَ]، وَاتِّبَاعِ الهَوَى المُطَاعِ؛ الَّذِي

يُوَجِّهُ الآرَاءَ وَالأَفْكَارَ، وَالَّذِي يُوقِعُ فِي الشُّبُهَاتِ وَالتَّأْوِيلاَتِ الفَاسِدَةِ.

وَهُنَاكَ الإِبْدَاعُ فِي (مَسْخِ الفِطْرَةِ)؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ؛ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ [أَيْ: مُكْتَمِلَة الأَعْضَاءِ]: هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ [أَيْ: مَقْطُوعَة الأَطْرَافِ]» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ الآيَةَ.... (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ الإِبْدَاعُ فِي تَطَلُّعَاتِ الهَيْمَنَةِ .. وَالإِبْدَاعُ فِي النِّفَاقِ وَنَشْرِ الشِّقَاقِ .. وَالإِبْدَاعُ فِي أَلاَعِيبِ الشِّلِّيَّةِ وَالتَّبَعِيَّةِ .. وَفِي نَشْرِ الإِحَنِ وَالفِتَنِ .. وَفِي إِثَارَةِ الغَوْغَاءِ وَالدَّهْمَاءِ .. وَالإِبْدَاعُ فِي إِثَارَةِ الفَضَائِحِ وَالقَضَايَا وَالمَشَاكِلِ[1] وَالأَزَمَاتِ المُصْطَنَعَةِ [وَرُبَّمَا (المُنْهَجَة)] [وَلَيْسَ مُهِمًّا

---

(١) وَلَكِنْ؛ مَا هِيَ الخَوَاصُّ الَّتِي يَتَعَيَّنُ تَوَافُرُهَا فِي وَاقِعَةٍ مَا أَوْ حَدَثٍ مَا لِيُثِيرَ نَوْعًا مِنَ الطَّرْحِ العَامِّ وَالمُوَاجَهَةِ العَامَّةِ وَيَحْمِلُ الجِهَاتِ المَسْؤُولَةَ وَوَسَائِلَ الإِعْلاَمِ عَلَى تَنَاوُلِهَا؟ وَلِمَاذَا؟

لَيْسَ شَرْطًا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الخَوَاصُّ فِي (الخَصَائِصِ الجَوْهَرِيَّةِ) لِلْحَدَثِ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي مَحْوَى الوَقَائِعِ المُحِيطَةِ بِهِ .. بَلْ فِي تَضْخِيمِ (السِّمَاتِ الاصْطِنَاعِيَّةِ) وَالتَّهْوِيلِ فِي الحَدَثِ وَتَحْوِيلِهِ إِلَى أَمْرٍ يَسْتَوْجِبُ الاهْتِمَامَ (التَّنْدِيد أَوْ المَدْح)، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ: تَكْيِيفِ الوَقَائِعِ وَالمَعْطِيَاتِ .. وَعَمَلِيَّاتِ الطَّرْحِ المُبَسَّطَةِ وَالمُيَسَّرَةِ لِلنِّقَاشِ العَامِّ (لِسَهُولَةِ وُصُولِهَا إِلَى=

=المُتَلَقِّي) .. وَالتَّهْوِيلِ فِي سَرْدِهَا [وَرُبَّمَا مَعَ الكَذِبِ وَالتَّلْفِيقِ] .. مَعَ الحِرْصِ عَلَى (التَّوْرِيَةِ) فِيمَا يَتَعَلَّقُ بالاتِّهَامِ، وَلَا يَتِمُّ إِبْرَازُ الوَقَائِعِ وَالإِبْقَاءُ عَلَى غُمُوضِ (الجَسَامَةِ) .. مَعَ تَجْيِيشِ الجَمَاهِيرِ لِلرَّفْضِ [أَوِ القَبُولِ] الاجْتِمَاعِيِّ [عَلَى الأَقَلِّ] لِمِثْلِ هَذِهِ الوَاقِعَةِ.

وَالرِّهَانُ غَالِبًا عَلَى الفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ بَيْنَ النَّشْرِ وَبَيْنَ إِثْبَاتِ أَوْ نَفْيِ الوَاقِعَةِ؛ مَعَ اقْتِرَانِ ذَلِكَ بِقُيُودٍ إِدْرَاكِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لِلْحَدَثِ، أَيْ: الاسْتِكْشَافِ الصَّحِيحِ لِلْحَدَثِ.

وَلِإِخْرَاجِ ذَلِكَ لِلطَّرْحِ العَامِّ؛ يَحْتَاجُ الأَمْرُ إِلَى:

- اخْتِيَارِ وَقَائِعَ ذَاتِ مَغْزًى مُعَيَّنٍ مَعَ إِضْفَاءِ قَدْرٍ مِنَ الجَسَامَةِ عَلَيْهَا (مَثَلاً: الاعْتِدَاءِ عَلَى مَبْدَأٍ أَوْ قِيمَةٍ أَوْ قَاعِدَةٍ، إِبْرَازِ وُجُودِ ضَحَايَا لِهَذَا الحَدَثِ، وَتَضْخِيمِ الخَسَائِرِ النَّاتِجَةِ عَنْ ذَلِكَ).

- إِيجَادِ عَلَاقَاتٍ سَبَبِيَّةٍ (وَلَوِ افْتِرَاضِيَّةٍ) بَيْنَ الحَدَثِ أَوِ الوَاقِعَةِ وَبَيْنَ المَسْؤُولِينَ المُفْتَرَضِينَ الفَاعِلِينَ لِذَلِكَ (مَعَ تَشَابُكِ المَعْطِيَاتِ وَالفُرُوضِ).

- أَنْ يُحِيطَ بِكُلِّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ (الغُمُوضِ) عَلَى كُلِّ ذَلِكَ وَالشُّكُوكِ حَوْلَهَا، وَيُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَى ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ (طَرْحِ الأَسْئِلَةِ) [أَوْ: كَأَنْ نَدَّعِي أَنَّنَا فَقَطْ نَتَسَائَلُ، وَنُرِيدُ فَقَطْ مُجَرَّدَ (إِجَابَاتٍ) لِإِزَالَةِ اللَّبْسِ وَالغُمُوضِ] حَوْلَ مَنَاطِقَ غَامِضَةٍ يَثُورُ حَوْلَهَا الجَدَلُ [أَيْنَ الجَرِيمَةُ؟ (وَمَا تَكْيِيفُهَا؟) وَأَيْنَ الضَّحَايَا؟ وَمَنِ المَسْؤُولُ أَوِ المَسْؤُولُونَ المُذْنِبُونَ الَّذِينَ يَتَحَمَّلُونَ تَبِعَةَ ذَلِكَ؟ وَمَا هُوَ الجَزَاءُ وَالعِقَابُ القَانُونِيُّ لِمِثْلِ هَذَا؟]، وَذَلِكَ كُلُّهُ وَلَوْ مِنْ بَابِ إِثَارَةِ (الفَرْضِيَّاتِ) المُتَضَارِبَةِ [مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ كَذَا أَوْ كَذَا أَوْ كَذَا]، مَعَ تَعَدُّدِ دُرُوبِ التَّفْكِيرِ المُمْكِنَةِ وَتَعَدُّدِ زَوَايَا النَّهْجِ الَّذِي يُمْكِنُ تَبَنِّيهُ [عَلَى الأَقَلِّ فِي البِدَايَةِ قَبْلَ=

=تَرْسِيخِ شَبَكَةِ قِرَاءَتِهَا وَنِظَامِ تَفْسِيرِهَا].

وَعِنْدَ هَؤُلَاءِ؛ لَا فَارِقَ أَنْ تَكُونَ: فَضِيحَةً، أَوْ قَضِيَّةً، أَوْ مُشْكِلَةً!!! المُهِمُّ؛ إِظْهَارُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ لَا يَبْغُونَ إِلَّا الصَّالِحَ العَامَّ وَالدِّفَاعَ عَنِ القِيَمِ وَالمَبَادِئِ وَالنِّظَامِ العَامِّ، وَالحِرْصَ عَلَى الاسْتِقَامَةِ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَالحَرْبِ عَلَى الفَسَادِ وَالسُّلُوكِيَّاتِ المُنْحَرِفَةِ!!! [مَعَ عَدَمِ ظُهُورِ القِيَمِ المِعْيَارِيَّةِ] المُهِمُّ؛ أَنَّهُمْ هُمْ: (الفِرْسَانُ البِيضُ)!!!

مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِتَلْمِيعِ شَخْصٍ أَوْ تَشْوِيهِهِ أَوْ لِتَحْوِيلِ الانْتِبَاهِ بَعِيدًا عَنْ حَادِثَةٍ أُخْرَى مُعَيَّنَةٍ!!! وَقَدْ يَكُونُ مُوَجَّهًا مِنْ قِبَلِ أُنَاسٍ لَهُمْ مَصْلَحَةٌ فِي التَّأْثِيرِ عَلَى مَجْرَيَاتِ الأُمُورِ، أَوْ بِسَبَبِ الحِقْدِ.. وَبِالتَّالِي يَتِمُّ تَسْخِيرُ الأَصْوَاتِ وَالعُقُولِ لِتَغْيِيرِ اتِّجَاهَاتِ (الرَّأْيِ العَامّ)؛ حَيْثُ يَنْتَقِلُ المُتَلَقِّي مِنْ كَوْنِهِ إِنْسَانًا ذَا عَقْلٍ يُفَكِّرُ وَيُحَلِّلُ لِـ(بَبَّغَاء أَعْمَى).. إِذْ كُلَّمَا كَانَتْ [مَعَ الإِبْهَارِ] دَرَجَاتُ التَّحَكُّمِ بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ مُقْنِعَةً؛ كَانَ المُتَلَقِّي عَجِينَةً سَهْلَةَ الخَبْزِ [العَبَث بِالعُقُولِ]. إِنَّهَا الإِقْنَاعُ المُنَظَّمُ بِالوَسَائِلِ غَيْرِ العَنِيفَةِ.

إِنَّهَا عَمَلِيَّةٌ إِثَارَةٍ إِعْلَامِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ مُخَطَّطَةً لِلتَّأْثِيرِ فِي اتِّجَاهَاتِ وَعُقُولِ وَعَوَاطِفِ وَمَوَاقِفِ الجَمَاهِيرِ وَآرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَسُلُوكِيَّاتِهِم.

وَوَسِيلَتُهَا: نَشْرُ مَعْلُومَاتٍ (حَقَائِق أَوْ أَكَاذِيب ...) بِاتِّجَاهٍ مُعَيَّنٍ فِي مُحَاوَلَةٍ مُنَظَّمَةٍ لِلتَّأْثِيرِ فِي الآخَرِين.

وَيَقُولُ د. عَبْدُ القَادِرِ حَاتِم عَنِ الدِّعَايَةِ: (فَنُّ التَّأْثِيرِ وَالمُمَارَسَةِ وَالسَّيْطَرَةِ وَالإِلْحَاحِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّرْغِيبِ؛ بِقَبُولِ وِجْهَاتِ النَّظَرِ أَوِ الآرَاءِ أَوِ الأَعْمَالِ أَوِ السُّلُوكِ).

وَيَقُولُ د. أَحْمَدُ بَدْر؛ أَنَّهَا: (الجُهُودُ الوَاعِيَةُ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الدَّاعِيَةُ لِنَشْرِ أَفْكَارٍ وَآرَاءٍ أَوْ=

عِنْدَهُمْ أَنْ يُسْفِرَ الأَمْرُ عَنْ: فَضِيحَةٍ، أَوْ قَضِيَّةٍ، أَوْ مُشْكِلَةٍ، أَوْ .. لاَ شَيْءٍ] .. وَالإِبْدَاعُ في تِجَارَةِ (الوَهَمِ)، وَاللَّعِبِ عَلَى أَحْلاَمِ البُسَطَاءِ .. وَإِبْدَاعٌ في نَشْرِ (مَصَانِعِ) الشَّائِعَاتِ وَبَرِيدٍ سَرِيعٍ لِتَنَاقُلِهَا .. وَإِبْدَاعٌ في الإِضَافَةِ لَهَا وَتَنْقِيحِهَا؛ وَفي إِلْقَاءِ التُّهَمِ البَاطِلَةِ ... وَهُنَاكَ الإِبْدَاعُ في (التَّنَطُّعِ) وَالتَّشَدُّدِ .. وَعَكْسُهُ الإِبْدَاعُ في التَّسَاهُلِ في أُمُورِ الدِّينِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ .. وَالإِبْدَاعُ في أَكْلِ الحُقُوقِ .... وَالإِبْدَاعُ في تَصْدِيرِ البَطَالَةِ .. وَالإِبْدَاعُ في تَخْرِيبِ العُقُولِ وَالعَبَثِ بِهَا .. وَالإِبْدَاعُ في إِثَارَةِ الشُّبُهَاتِ .. وَالإِبْدَاعُ في تَحْرِيكِ الشَّهَوَاتِ وَالانْغِمَاسِ فِيهَا .. وَهُنَاكَ الإِبْدَاعُ في التَّرَفِ .. وَالإِبْدَاعُ في انْسِيَاقِ (الفَنِّ) وَرَاءَ الغَرَائِزِ وَعُرْيِ المُجُونِ بِكَافَةِ صُوَرِهِ وَأَشْكَالِهِ بَلْ رُبَّمَا الكُفْرِ!! [تَحْتَ مَزَاعِمِ (حِمَايَةِ الإِبْدَاعِ) الفِكْرِيِّ وَالفَنِّيِّ!!] .. وَالإِبْدَاعُ في فَوْضَى الحُرِّيَّاتِ غَيْرِ المُنْضَبِطَةِ [تَحْتَ مَزَاعِمِ (حِمَايَةِ الحُرِّيَّاتِ الشَّخْصِيَّةِ)!!]؛ حُرِّيَّةِ الجِنْسِ وَالعُهْرِ وَالشُّذُوذِ [بَلْ تَعَدَّى الأَمْرُ إِلَى (زِنَا

=مُعْتَقَدَاتٍ مُعَيَّنَةٍ لِلتَّأْثِيرِ في الرَّأْيِ العَامِ وَعَلَى السُّلُوكِ الاجْتِمَاعِيِّ؛ دُونَ أَنْ تُفَكِّرَ الجَمَاهِيرُ في الأَسْبَابِ الَّتِي دَفَعَتْهَا لِتَبَنِّي تِلْكَ الآرَاءِ وَمَنْطِقِيَّتِهَا).

وَيُؤَدِّي المَضْمُونُ الفِكْرِيُّ النَّفْسِيُّ المُوَجَّهُ إِلَى الشَّحْنِ العَاطِفِيِّ وَالتَّوَتُّرِ النَّفْسِيِّ أَوِ الإِقْنَاعِ الفِكْرِيِّ، وَتَكُونُ مِنْ نَتَائِجَ ذَلِكَ تَشْوِيهُ التَّتَابُعِ المَنْطِقِيِّ عِنْدَ الفَرْدِ (تَلَاعُبٌ بِالعَوَاطِفِ) فَتَتَغَيَّرُ الاسْتِجَابَةُ لِمَوْقِفٍ مُعَيَّنٍ (قَبُول، رَفْض، تَفْضِيل، كُرْه ..).

المَحَارِمِ)!!] .. وَحُرِّيَّة الكُفْرِ وَالإِلْحَادِ وَالرِّدَّةِ وَنَشْرِ العَقَائِدِ البَاطِلَةِ وَالمَذَاهِبِ الهَدَّامَةِ وَالزَّنْدَقَةِ ...) [الانْفِلاَت مِنَ الدِّينِ، تَحْتَ دَعْوَى (حُرِّيَّةِ العَقِيدَةِ)] .. وَالإِبْدَاعُ في الفَبْرَكَةِ؛ بَلْ وَفي التَّصْرِيحَاتِ المُتُعَارِضَةِ وَالمُتَنَاقِضَةِ وَ... (الكَاذِبَةِ) .. وَفي التَّصْرِيحَاتِ العَنْتَرِيَّةِ، وَفَوْضَى التَّهْوِيلاَتِ وَالمُبَالَغَاتِ؛ وَرَفْعِ الشِّعَارَاتِ البَرَّاقَةِ الرَّنَّانَةِ الجَوْفَاءِ .. وَالإِبْدَاعُ في الشِّعَارَاتِ الفِضْفَاضَةِ [حُرِّيَّة، مُسَاوَاة، مُوَاطَنَة، وَ...].. وَالإِبْدَاعُ في خَلْطِ الأُمُورِ وَخَلْطِ الأَوْرَاقِ وَقَلْبِ الحَقَائِقِ [بَلْ وَالمُسَلَّمَاتِ]، وَالسَّفْسَطَةِ وَالجِدَالِ بِالبَاطِلِ .. وَالإِبْدَاعُ في لِبْسِ الأَقْنِعَةِ وَتَغْيِيرِهَا [فَعِنْدَهُمْ؛ (لِكُلِّ عَهْدٍ قِنَاعُهُ)، فَهُمْ رِجَالٌ لِكُلِّ العُصُورِ]، وَالسِّبَاحَةِ مَعَ التَّيَّارِ .. وَالإِبْدَاعُ في الخَسَاسَةِ وَالنَّجَاسَةِ وَالاتِّجَارِ في سُوقِ النَّخَاسَةِ [مَنْ يَشْتَرِي (مِصْرَ)؟ فَالبَائِعُونَ اليَوْمَ كُثُرٌ!] .. وَالإِبْدَاعُ في مُحَاوَلَةِ (مَسْخِ الهُوِيَّةِ) .. وَالإِبْدَاعُ في السَّرِقَاتِ العِلْمِيَّةِ .. وَإِبْدَاعٌ في القَرْصَنَةِ الفِكْرِيَّةِ وَسَرِقَةِ الأَفْكَارِ .. وَفي احْتِكَارِ العُقُولِ وَالأَفْكَارِ؛ بَلْ وَإِبْدَاعٌ في تَجْرِيفِ العُقُولِ وَالأَفْكَارِ .. وَإِبْدَاعٌ في الإِرْجَافِ .. وَإِبْدَاعٌ في المُتَاجَرَةِ وَالمُقَامَرَةِ بِالآمَالِ وَالأَحْلاَمِ .. وَإِبْدَاعٌ في تَحْوِيلِ النَّاسِ إِلَى قُطْعَانٍ تُسَاقُ، وَمُصَادَرَةِ حَقِّ التَّفْكِيرِ .. وَإِبْدَاعٌ في (عَلْمَنَةِ): التَّعْلِيمِ وَالثَّقَافَةِ وَالإِعْلاَمِ وَجَمِيعِ مَنَاحِي الحَيَاةِ [وَفَوْضَى: التَّعْلِيمِ وَالثَّقَافَةِ وَالإِعْلاَمِ ...] .. وَعَبَثِيَّةٍ في السُّلُوكِ وَالأَخْلاَقِ .. وَالاسْتِبْعَادِ

المَعْرِفِيِّ الصَّحِيحِ [مَعَ ضَرُورَةِ اسْتِبْعَادِ (الخُرَافَةِ)، وَالتَّخَلُّصِ مِنَ العَيْشِ فِي الأَسَاطِيرِ، وَالقَضَاءِ عَلَى الأُمِّيَّةِ وَاللاَ عِلْمِيَّةِ] .. وَإِبْدَاعٌ فِي (العَبَثِيَّةِ) وَ(الغُثَائِيَّةِ) مِنْ شِدَّةِ الحُمْقِ وَالنَّزَقِ[1].

... وَهُنَاكَ الإِبْدَاعُ فِي مُحَاوَلَةِ تَبْرِيرِ كُلِّ ذَلِكَ، وَتَبْرِيرِ (الفَوْضَى) وَ(العَشْوَائِيَّاتِ)[2] [العَمَلُ بِلاَ تَخْطِيطٍ مُسَبَّقٍ] النَّاتِجَةِ عَنْ ذَلِكَ!!!

---

(١) (النَّزَقُ) الخِفَّةُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَعَجَلَةٌ فِي جَهْلٍ وَحُمْقٌ وَالطَّيْشُ. وَأَنْزَقَ الرَّجُلُ: إِذَا سَفِهَ بَعْدَ حِلْمٍ.

(٢) عَشَا عَنِ الشَّيْءِ؛ يَعْشُو: ضَعُفَ بَصَرُهُ عَنْهُ، وَخَبَطَهُ خَبْطَ عَشْوَاءٍ: لَمْ يَتَعَمَّدْهُ، وَفُلَانٌ خَابِطٌ خَبْطَ عَشْوَاءٍ، وَأَصْلُهُ مِنَ النَّاقَةِ العَشْوَاءِ لأَنَّهَا لَا تُبْصِرُ مَا أَمَامَهَا فَهِيَ تَخْبِطُ بِيَدَيْهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَرْفَعُ رَأْسَهَا فَلَا تَتَعَهَّدُ مَوَاضِعَ أَخْفَافِهَا. وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ السَّائِرَةِ وَهُوَ يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءٍ، يُضْرَبُ مَثَلاً لِلسَّادِرِ الَّذِي يَرْكَبُ رَأْسَهُ وَلَا يَهْتَمُّ لِعَاقِبَتِهِ؛ كَالنَّاقَةِ العَشْوَاءِ الَّتِي لَا تُبْصِرُ فَهِيَ تَخْبِطُ بِيَدَيْهَا كُلَّ مَا مَرَّتْ بِهِ؛ فَهِيَ لَا تَدْرِي كَيْفَ تَضَعُ يَدَهَا، وَالعُقَابُ العَشْوَاءُ الَّتِي لَا تُبَالِي كَيْفَ خَبَطَتْ وَأَيْنَ ضَرَبَتْ بِمَخَالِبِهَا. وَرَكِبَ فُلَانٌ العَشْوَاءَ: إِذَا خَبَطَ أَمْرَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ. وَكُلَّمَا رَكِبَ الإِنْسَانُ أَمْرًا بِجَهْلٍ لَا يُبْصِرُ وَجْهَهُ فَهُوَ عُشْوَةٌ مِنْ عُشْوَةِ اللَّيْلِ وَهُوَ ظُلْمَةُ أَوَّلِهِ، يُقَالُ: مَضَى مِنَ اللَّيْلِ عَشْوَةٌ -بِالفَتْحِ: وَهُوَ مَا بَيْنَ أَوَّلِهِ إِلَى رُبْعِهِ.

وَهُنَاكَ مَنْ يَقُومُ إِبْدَاعُهُ عَلَى الابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ (وَنَشْرِ الضَّلاَلاَتِ)، وَلاَ يَبْتَدِعُ وَلاَ يُبْدِعُ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا (وَالعَكْسُ هُوَ الصَّحِيحُ).

فَمِنْ (حُرَّاسِ القَدِيمِ) أَصْحَابِ البُطُولاَتِ الزَّائِفَةِ [(الدُّون كِيشُوت) العَصْرِيّ]؛ .. مَنْ يُبْدِعُ فِي التَّلْوِيحِ بِسَيْفِهِ الخَشَبِيِّ وَمُحَارَبَتِهِ لِطَوَاحِينِ الهَوَاءِ .. مَنْ يُبْدِعُ فِي تَزْيِينِ أَكْتَافِ مَلاَبِسِهِ بِأَغْطِيَةِ الزُّجَاجَاتِ وَتَقَمُّصِهِ لِشَخْصِيَّةِ لِوَاءِ حَربٍ .. مَنْ يُبْدِعُ فِي تَزْيِينِ رَأْسِهِ بِرِيشِ الطُّيُورِ مُحَاكِيًا تَاجَ السُّلْطَانِ!!! وَتَسْمَعُ قَعْقَعَةً وَضَجِيجًا وَلاَ تَرَى طَحْنًا! ...

إِنَّهُ البُكَاءُ عَلَى الأَطْلاَلِ دُونَ حَرَكَةٍ إِيجَابِيَّةٍ، وَبَدَلاً مِنَ الهَبَّةِ وَالانْتِفَاضِ وَنَفْضَ التُّرَابِ؛ يُهِيلُ التُّرَابَ عَلَى الرُّؤُوسِ، وَيَدْفِنُ (الحَاضِرَ) تَحْتَ الرِّمَالِ!

❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ مَنْ يُرِيدُ الإِبْدَاعَ فِي التَّغْيِيرِ المُجْتَمَعِيِّ إِلَى الحَضِيضِ وَالغَوْصِ بِهِ وَالارْتِكَاسِ فِي حَمْأَةِ وَقَاعِ الرَّزِيلَةِ، وَالغَرَقِ بِهِ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الانْحِطَاطِ وَالانْحِلاَلِ .. وَبِلاَ ضَابِطٍ وَلاَ رَابِطٍ [الهَمَجِيَّةِ المُعَاصِرَةِ]؛ فَيُبْدِعُ فِي الإِسْرَاعِ بِالانْهِيَارِ وَالانْحِطَاطِ الأَخْلاَقِيِّ وَالانْغِمَاسِ فِي شَهَوَاتٍ مُضْطَرِبَةٍ مُضْطَرِمَةٍ فِي غَلْوَائِهَا مُطْلَقَةِ العَنَانِ بَعِيدًا عَنْ أَيِّ قَانُونٍ أَوْ قِيمَةٍ (مِنْ عُرْيٍ، وَشُذُوذٍ، وَمُجُونٍ، وَعَلاَقَاتٍ غَارِقَةٍ فِي الحُرْمَةِ [كَزِنَا المَحَارِمِ]...) ... إِنَّهَا: [الفَوْضَى الحَيَوَانِيَّةِ البَهِيمِيَّةِ فِي الأَخْلاَقِ] .. [وَجَمِيعُهُمْ يُكَرِّمُهُمْ (الغَرْبُ) الفَاجِرُ الَّذِي يَسْعُونَ لِمَرْضَاتِهِ، وَالَّذِي لَا يَرْضَى لَنَا إِلَّا بِالتَّبَعِيَّةِ لَهُ المُذِلَّةِ

وَالمُهِينَةِ!!].

فَهُنَاكَ الَّذِينَ اسْتَقَالُوا مِنْ إِنْسَانِيَّهِمْ وَارْتَمُوا وَتَمَرَّغُوا فِي انْحِطَاطِ البَهِيمِيَّةِ الحَيَوَانِيَّةِ .. بَلْ وَعُجِنُوا فِي كُلِّ نَجَاسَةٍ وَخَسَاسَةٍ؛ فَأَبْدَعُوا فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الفُجُورِ وَالمُجُونِ وَالعَرْبَدَةِ وَالإِبَاحَةِ وَالإِبَاحِيَّةِ وَالتَّهَتُّكِ، وَهَتْكِ السُّتُورِ وَالأَعْرَاضِ [الدَّعْوَة إِلَى إِبَاحَةِ الشُّذُوذِ؛ بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى "مِلْيُونِيَّةٍ لِلشُّذُوذِ"، وَالدَّعْوَة إِلَى الثَّوْرَةِ "العَارِيَةِ" أَوْ الثَّوْرَةِ بِالعُرْيِ وَالعُهْرِ (عُرْي وَعُهْر الحَيَوَانَات)، [تَحْتَ شِعَار: "ثُورَتِي عَارِيَة"] [وَنَالَتْ صَاحِبَتُهَا -أَيْضًا- تَكْرِيمَ سَادَتِهِمْ فِي (الغَرْبِ) السَّاعِي لِهَدْمِ كُلِّ قِيَمِ الإِسْلاَمِ!]

بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى الانْهِيَارِ الأَخْلاَقِي فِي كَافَّةِ المَجَالاَتِ (الإِنْسَانِيَّةِ، وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ، وَالفَنِّيَّةِ، ...)، ...

إِنَّهُ الإِبْدَاعُ فِي (الفَسَادِ) وَ(الإِفْسَادِ) [(فَسَادٌ) فِي الذِّمَمِ وَالضَّمَائِرِ ....، وَ(إِفْسَادٌ) فِي كُلِّ أَرْجَاءِ المُجْتَمَعِ وَمَنَاحِي الحَيَاةِ]، وَالارْتِمَاءِ فِي ظَلاَمٍ جَاهِلِيٍّ، وَأَلْصَقُوهُ بِالتَّحَضُرِ وَالتَّمَدُّنِ!

إِنَّهَا: فَوْضَى (الحُرِّيَّاتِ) الهَمَجِيَّةِ، وَالعَوْدَةُ إِلَى (عَصْرِ الغَابِ) وَقَانُونِ الغَابِ: بِعُرْيِهِ وَفَسَادِهِ وَهَرْجِهِ ... وَالعَمَلِ بِهَذَا القَانُونِ الهَمَجِيِّ الجَاهِلِيِّ.

إِنَّهَا وَصْمَةُ عَارٍ لأَصْحَابِهَا مَوْصُومَةٌ بِالخُرُوجِ عَنِ التَّحَضُرِ وَالتَّمَدُّنِ!

إِنَّهُ: (التَّقَدُّمُ إِلَى الخَلْفِ) .. (الصُّعُودُ إِلَى الهَاوِيَةِ)!

إِنَّهَا: (ثَوْرَةُ الفَوْضَى)، وَ... (فَوْضَى الثُّوْرَةِ)!!!

❁❁❁❁❁

وَالكَثِيرُونَ يُفْتَنُونَ وَيَتَغَنُّونَ بِشِعَارِ (الحُرِّيَّةِ)، وَيُفَسِّرُ كُلٌّ مِنْهُمُ (الحُرِّيَّةَ) عَلَى هَوَاهُ [(اللِّيبْرَالِيُّونَ)؛ كَمِثَالٍ]، وَيُرَوِّجُ لَهَا أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ [وَخَاصَّةً: (الفَوْضَوِيُّونَ الأَنَارْكِيُّونَ)]، وَيُوَسِّعُونَ دَائِرَةَ هَذِهِ (الحُرِّيَّةِ) [مِنْ غَيْرِ وَضْعِ سَقْفٍ لَهَا]؛ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمْ: مِنْ سَحْقٍ وَتَدْمِيرٍ لِلْقِيَمِ وَالمَبَادِئِ الدِّينِيَّةِ وَالخُلُقِيَّةِ، وَتَحْطِيمِ النُّظُمِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، بَلْ وَتَخْرِيبٍ لِلثَّوَابِتِ، بَلْ وَالتَّبَجُّحِ بِإِعْلَانِ (الكُفْرِ) وَالافْتِخَارِ بِهِ، وَالمُجَاهَرَةِ بِسَبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ وَالصَّحَابَةِ!

وَلَقَدْ فَرَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ (الحُرِّيَّةِ) وَ(الفَوْضَى)؛ فَفِي البُخَارِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ؛ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» (رَوَاهُ البُخَارِيُّ).

فَيُخْطِئُ مَنْ يَسْتَبِيحُ باسْمِ (الحُرِّيَّةِ) كُلَّ شَيْءٍ دُونَ ضَوَابِطٍ وَدُونَ خُطُوطٍ حَمْرَاءَ [بَلْ بِلَا أَيِّ خُطُوطٍ عَلَى الإِطْلَاقِ] [وَ(اللِّيبْرَالِيُّ) هُوَ الَّذِي يَضَعُ

لِنَفْسِهِ هَذِهِ الخُطُوطَ عَلَى وِفْقِ هَوَاهُ، وَ(الأَنَارْكِيُّ) يُحَطِّمُهَا كُلَّهَا!!]؛ فَهَذَا الفَهْمُ يَسُوقُ المُجْتَمَعَ إِلَى الخَرَابِ وَالدَّمَارِ! [وَ(الأَنَارْكِيُّ) لَا يَعْتَرِفُ بِأَيَّ تَرَاتُبِيَّةٍ]

❁❁❁❁❁

مَعَ التَّنَبُّهِ لِلإِمَّعَاتِ الحَمْقَى (الهَمَجِ الرِّعَاعِ، أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ)[1] الَّذِينَ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، وَالَّذِينَ هُمْ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ [الَّذِي يَتَسَاقَطُ فِي النَّارِ] الَّذِي يَمُوجُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ فِي حَيْرَةٍ وَاضْطِرَابٍ؛ يَتَهَافَتُونَ إِلَى الآرَاءِ السَّاقِطَةِ وَالأَقْوَالِ الهَابِطَةِ! [وَلِذَا لَابُدَّ مِنْ قَمْعِ الفِتَنِ فِي مَهْدِهَا]

❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ (الطَّاغُوتُ) الطَّاغِيَةُ المُسْتَبِدُّ الهَمَجِيُّ .. المُسْتَدْرَجُ المُمْلَى لَهُ [﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ

---

(١) كَمَا وَرَدَ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ﷺ فِي كَلَامِهِ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ.

وَ(الهَمَجُ مِنَ النَّاسِ): حُمَقَاؤُهُمْ وَجَهَلَتُهُمْ، وَأَصْلُهُ مِنَ (الهَمَج) جَمْعُ (هَمَجَة) وَهُوَ ذُبَابٌ صَغِيرٌ كَالبَعُوضِ يَسْقُطُ عَلَى وُجُوهِ الغَنَمِ وَالدَّوَابِ وَأَعْيُنِهَا، فَشَبَّهَ (هَمَجَ النَّاسِ) بِهِ. وَ(الرِّعَاعُ مِنَ النَّاسِ): الحَمْقَى الَّذِينَ لاَ يُعْتَدُّ بِهِمْ. وَ(أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ)؛ أَيْ: مَنْ صَاحَ بِهِمْ وَدَعَاهُمْ تَبِعُوهُ سَوَاءٌ دَعَاهُمْ إِلَى هُدًى أَوْ إِلَى ضَلَالٍ، فَإِنَّهُمْ لاَ عِلْمَ لَهُمْ بِالَّذِي يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ أَحَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ. انْظُرْ: "لِسَان العَرَب" مَادَّة (هَمَج) (٢/ ٣٩٢)، وَ"مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَةِ" لابْنِ القَيِّمِ (١/ ١٢٥-١٢٦).

كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (الأَعْرَاف/ ١٨٢- ١٨٣)، وَانْظُرْ: سُورَةَ (القَلَم/ ٤٤، ٤٥)]، **الَّذِي مَثَلُهُ الأَعْلَى: الوُحُوشُ فِي الغَابَةِ .. الهَاجِرُ لإِنْسَانِيَّتِهِ .. الَّذِي يُبْدِعُ فِي أَسْوَءِ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَالقَهْرِ وَالاسْتِعْبَادِ وَالاسْتِبْدَادِ وَالتَّبَعِيَّةِ وَالتَّجَبُّرِ وَالتَّكَبُّرِ وَالبَطْشِ وَالإِرْهَابِ وَالفَسَادِ وَالإِفْسَادِ وَالفُحْشِ السِّيَاسِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ وَالتَّنْكِيلِ بِالشُّرَفَاءِ وَالتَّلَذُّذِ بِتَعْذِيبِ الأَبْرِيَاءِ وَسَفْكِ دِمَائِهِمْ وَتَرْوِيعِ الآمِنِينَ...** ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ الَذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ﴾ (البُرُوج/ ٨- ١٠)، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (إِبْرَاهِيم/ ٤٢- ٤٣)، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشُّعَرَاء/ ٢٢٧).

[وَعِنْدَهُمْ؛ لاَ يَجِبُ عَلَى الشُّعُوبِ إِلاَّ الخُنُوعُ وَالقَبُولُ بِهِمْ وَسِيَاسَاتِهِمْ وَقَهْرِهِمْ وَظُلْمِهِمْ الَخ]

وَ«الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ» .. وَ.. (الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ).

❁❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ الإِبْدَاعُ فِي الطُّغْيَانِ وَالانْتِقَامِ وَالقَهْرِ وَالقَمْعِ وَالمُلاَحَقَةِ وَالإِقْصَاءِ وَالنَّفْيِ [وَكُلّ ذَلِكَ مِنْهُ: المَادِيُّ، وَالمَعْنَوِيُّ]، **وَاتِّخَاذِ المُخَالِفِ عَدُوًّا وَتَخْوِينِهِ، وَمُحَاوَلَةِ تَحْطِيمِهِ؛** [(الفُجُورُ فِي الخُصُومَةِ)، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ

المُنَافِقِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)]

وَمِنَ العَجِيبِ وَالغَرِيبِ [وَإِنْ كَانَ -فِي الحَقِيقَةِ- لَيْسَ بِعَجِيبٍ وَلاَ غَرِيبٍ] أَنْ تَرَى (عَلْمَانِيًّا) قُحًّا وَقِحًا يُجَاهِرُ بِرِضَاهُ عَنْ أَنْ يَسْطُوا وَيَتَسَلَّطَ (دِيْكْتَاتُورٌ) طَاغِيَةٌ مُفْسِدٌ ظَالِمٌ وَ(مَلَوُهُ) وَ(حَاشِيَتُهُ) وَ(زَبَانِيَتُهُ) وَ(جَلاَّدُوهُ) عَلَى حُكْمِ شَعْبٍ وَمُقَدَّرَاتِهِ بِالحَدِيدِ وَالنَّارِ وَالاسْتِيلاَءِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ وَاسْتِعْبَادِهِ؛ عَنْ أَنْ يَصِلَ مَنْ يَعْمَلُ بِالإِسْلاَمِ وَلِلإِسْلاَمِ عَنْ طَرِيقِ صُنْدُوقِ (دِيمُقْرَاطِيَّتِهِمْ)[1] [الشَّرْعِيّ (الوَحِيد) عِنْدَهُمْ] إِلَى مَقَالِيدِ الحُكْمِ،

---

(١) (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) (δημοκρατία) كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ: الأُولَى (Δήμος أَوْ Demos) وَتَعْنِي (عَامَّة النَّاسِ) وَالثَّانِيَة (Κρατία أَوْ kratia) وَتَعْنِي (حُكْم).
فَتَكُونُ كَلِمَةُ (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) (Demoacratia) تَعْنِي لُغَةً: (حُكْم عَامَّةِ النَّاسِ) [حُكْم الرِّعَاعِ] أَوْ (حُكْمُ الشَّعْبِ)، وَأَصْبَحَتْ تَعْنِي (حُكْم الأَكْثَرِيَّةِ) [أَكْثَرِيَّةِ (مَنْ يُدْلِي بِصَوْتِهِ) مِمَّنْ (لَهُ حَقُّ التَّصْوِيتِ)؛ وَلَوْ كَانُوا قِلَّةً]، وَتَقُومُ عَلَى المُسَاوَاةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الشَّعْبِ فِي الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ.
وَقَدْ ظَهَرَ هَذَا المُصْطَلَحُ إِبَانَ ثَوْرَةِ (أَثِينَا) الشَّعْبِيَّةِ سَنَةَ (٥٠٨ ق.م)، وَبِمُرُورِ الزَّمَنِ تَغَيَّرَ مَعْنَى (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) وَتَعْرِيفُهَا الحَدِيثُ [وَآلِيَّةُ تَطْبِيقِهَا] كَثِيرًا [وَمِنْ دُوْلَةٍ لأُخْرَى] مُنْذُ=

=القَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ مَعَ ظُهُورِ الأَنْظِمَةِ (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) المُتَعَاقِبَةِ فِي العَدِيدِ مِنْ دُوَلِ العَالَمِ.

وَأُولَى الأَمْثِلَةِ الَّتِي تَنْطَبِقُ عَلَيْهَا مَفَاهِيمُ (الحُكْمِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ) كَانَتْ فِي القَرْنِ الخَامِسِ قَبْلَ المِيلاَدِ فِي (أَثِينَا) القَدِيمَةِ؛ حَيْثُ كَانَ نِصْفُ أَوْ رُبْعُ سُكَّانِ (أَثِينَا) الذُّكُورِ فَقَطْ لَهُمْ حَقُّ التَّحَدُّثِ فِي الجَمْعِيَّةِ العُمُومِيَّةِ وَالتَّصْوِيتِ مُبَاشَرَةً بَدَلاً مِنَ التَّصْوِيتِ عَلَى اخْتِيَارِ نُوَّابٍ يَنُوبُونَ عَنْهُمْ، وَهَذَا الشَّكْلُ يُسَمَّى بِـ(الدِّيمُقْرَاطِيَّة المُبَاشِرَة) أَوْ (الدِّيمُقْرَاطِيَّة النَّقِيَّة).

وَأُولَى أَشْكَالِ (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) الأُولَى ظَهَرَتْ فِي جُمْهُورِيَّاتِ الهِنْدِ القَدِيمَةِ فِي القَرْنِ السَّادِسِ قَبْلَ المِيلاَدِ وَقَبْلَ مِيلاَدِ (بُوذَا). وَمُعْظَمُ ذَلِكَ كَانَ فِي مُدُنٍ صَغِيرَةٍ ذَاتِ دِيَانَاتٍ مَحَلِّيَّةٍ أَوْ مَا يُسَمَّى بِـ(المَدِينَة-الدَّوْلَة). وَلَكِنْ بِقِيَامِ الإِمْبِرَاطُورِيَّاتِ وَالدُّوَلِ الكُبْرَى فِي العُصُورِ الوُسْطَى قَدْ قُضِيَ عَلَى هَذِهِ الدُّوَيْلاَتِ (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) بَلْ عَلَى فُرَصِ قِيَامِهَا أَيْضًا.

وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِك حَصَلَ تَطَوُّرٌ عَلَى مُسْتَوَى القِيَمِ وَحُقُوقِ الأَفْرَادِ نَتَجَ عَنْ قِيَمِ (اللِّيبْرَالِيَّة) الَّتِي نَشَأَتْ مَعَ فَلاَسِفَةٍ مِثْل: (تُومَاس هُوبز) وَ(جُون لُوك) [مَعَ قَوْلِهِ أَنَّهَا خُرَافَةٌ، لَمْ وَلَنْ تَتَحَقَّقْ] وَ(إِيمَانْوِيل كَانْط) قَبْلَ تَحْقِيقِ تَقَدُّمٍ مَلْمُوسٍ فِي (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) مِمَّا أَدَّى إِلَى ازْدِهَارِ نَمُوذَجِ (الدِّيمُقْرَاطِيَّة اللِّيبْرَالِيَّة) دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الدِّيمُقْرَاطِيَّاتِ فِي الغَرْبِ.

۞ وَقَدْ سَاعَدَ عَلَى ازْدِهَارِ (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) فِيمَا بَعْدُ ظُهُورُ دِيَانَاتٍ كُبْرَى وَطَّدَتْ قِيَمًا وَثَقَافَاتٍ؛ مِنْهَا:

- فِكْرَةُ شرعيّة الدَولة.

- فِكْرَةُ المساواة الكاملة بَين القبائِل والأعراق بشكلٍ عام. =

=- فِكْرَةُ المساواة ولو جُزئيّةً بَين الأفراد ولا سيّما بَين الجنسَين وبين الأسياد والعبيد.

- أَفْكَارٌ عَنِ المَسْؤُولِيَّةِ وَالمُسَاءَلَةِ وَالتَّعَاوُنِ وَالشُّورَى.

- الدِّفَاعُ عَنْ حُقُوقٍ عَدِيدَةٍ؛ مِثْلُ: افْتِرَاضِ البَرَاءَةِ، وَحُرِّيَّةِ التَّنَقُّلِ، وَحُقُوقِ المِلْكِيَّةِ، وَحَقِّ العَمَلِ.

الدِّيمُقْرَاطِيَّات الحَدِيثَة: لَمْ يَكُنْ يُوجَدُ فِي عَامِ (١٩٠٠م) نِظَامٌ دِيمُقْرَاطِيٌّ لِيبْرَالِيٌّ وَاحِدٌ يَضْمَنُ حَقَّ التَّصْوِيتِ وِفْقَ المَعَايِيرِ الدُّوَلِيَّةِ؛ وَلَكِنْ (٢٥) دَوْلَة أَوْ مَا يُعَادِلُ (١٩٪) كَانَتْ تُطَبِّقُ (مُمَارَسَات دِيمُقْرَاطِيَّة مَحْدُودَة)، وَلَكِنْ فِي العَامِ (٢٠٠٠م) كَانَتْ (١٢٠) دَوْلَة مِنْ دُوَلِ العَالَمِ أَوْ مَا يُوَازِي (٦٠٪) مِنْ مَجْمُوعِهَا تُعَدُّ دِيمُقْرَاطِيَّاتٍ لِيبْرَالِيَّةً.

❁ مَبَادِئُ تَحْكِيمِ (حُكْمِ الأَكْثَرِيَّة)، وَمَفَاهِيمُهُ:

وَهِيَ مَفَاهِيمُ وَمَبَادِئُ مُصَمَّمَةٌ حَتَّى تُحَافِظَ (الأَكْثَرِيَّةُ) [النِّسْبِيَّةُ] عَلَى قُدْرَتِهَا عَلَى الحُكْمِ الفَعَّالِ وَالاسْتِقْرَارِ وَالسِّلْمِ الأَهْلِيِّ وَالخَارِجِيِّ، وَلِمَنْعِ (الأَقَلِّيَّاتِ) مِنْ تَعْطِيلِ الدَّوْلَةِ وَشَلِّهَا:

- مَبْدَأُ (حُكْمِ الأَكْثَرِيَّة).

- مَبْدَأُ فَصْلِ السُّلْطَات، وَمَفْهُومِ تَجْزِيءِ الصَّلاَحِيَّاتِ.

- مَبْدَأُ التَّمْثِيلِ وَالانْتِخَابِ.

- مَفْهُومُ المُعَارَضَةِ الوَفِيَّةِ.

- مَفْهُومُ سِيَادَةِ القَانُونِ.

- مَفْهُومُ اللاَّمَرْكَزِيَّةِ. =

وَالأَنْكَى عِنْدَهُ [وَغُصَّتُهُ فِي حَلْقِهِ] أَنْ يُطَبَّقَ (الإِسْلاَمُ) فِي الحَيَاةِ؛ بِدَعْوَى كَرَاهِيَةِ الحُكْمِ (الثِّيُوقْرَاطِيِّ) (الدَّوْلَة الدِّينِيَّة)[1] [فِي زَعْمِهِمْ]!

=- مَبْدَأُ تَدَاوُلِ السُّلْطَاتِ سِلْمِيًّا.

❖ أَوْجُهُ الخِلاَفِ بَيْنَ (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) وَ(الإِسْلاَم)؛ تَتَلَخَّصُ فِيمَا يَلِي:

- حُقُوقُ أَفْرَادِ الشَّعْبِ: يَرْجِعُ الاخْتِلاَفُ هُنَا إِلَى تَعْرِيفِ (المُوَاطَنَة) بَيْنَ (الإِسْلاَمِ) وَ(الدِّيمُقْرَاطِيَّة)؛ فَفِي (الإِسْلاَمِ) لِغَيْرِ المُسْلِمِينَ قَوَانِينَ وَحُقُوقًا تَخْتَلِفُ عَنْ حُقُوقِ المُسْلِمِينَ. وَلَهُمْ (البِرُّ) وَ(القِسْطُ) [وَهِيَ أُمُورٌ وَأَفْعَالٌ ظَاهِرَة] وَلَيْسَ لَهُمْ (الحُبّ) [وَهُوَ أَمْرٌ بَاطِنٌ]. كَمَا أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ حَقُّ اخْتِيَارِ الحَاكِمِ المُسْلِمِ.

- الشُّورَى: وَتُطَبَّقُ فِي كُلِّ الأُمُورِ مَا خَلاَ (الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة)، فَلَيْسَ لأَحَدٍ سَوَاءٌ أَكَانَ حَاكِمًا أَمْ مَحْكُومًا الحَقُّ فِي تَغْيِيرِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ ثَابِتٍ بِنَصٍّ صَحِيحٍ صَرِيحٍ أَوْ عَلَيْهِ إِجْمَاعٌ. وَلِذَلِكَ لا يُوجَدُ فِي (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) شَيْءٌ ثَابِتٌ؛ كُلُّ شَيْءٍ يَتَغَيَّرُ طِبْقًا لأَهْوَاءِ المُجْتَمَعِ.

- البَيْعَةُ: لاَ يَجُوزُ نَقْضُ البَيْعَةِ لأَيِّ سَبَبٍ سِوَى فِعْلِ الكُفْرِ [وَلاَ يُشْتَرَطُ كُفْرُ الحَاكِمِ] أَوْ تَرْكِ الصَّلاَةِ، بَيْنَمَا فِي (الدِّيمُقْرَاطِيَّة) لِلشَّعْبِ الحَقُّ بِنَقْضِ اخْتِيَارِهِ لِوَلِيِّ الأَمْرِ.

(١) (الثِّيُوقْرَاطِيَّةُ) مِنَ المُصْطَلَحَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الوَافِدَةِ. وَالأَصْلُ اللُّغَوِيُّ لِلثِّيُوقْرَاطِيَّةِ مُشْتَقٌّ مِنَ الكَلِمَةِ اليُونَانِيَّةِ (Theokratia θεοκρατία) وَتَعْنِي: حُكْمُ الإِلَهِ (الله) [الحُكْمُ بِالحَقِّ الإِلَهِيِّ]؛ فَقَدْ جَاءَتْ مِنْ مَقْطَعَيْنِ يُونَانِيَّيْنِ: الأَوَّل (ثِيُو) وَتَعْنِي (إِلَه)، وَالثَّانِي (قِرَاط) وَتَعْنِي (الحُكْم). فَهِيَ نِظَامُ حُكْمٍ يَسْتَمِدُّ الحَاكِمُ فِيهِ سُلْطَتَهُ مُبَاشَرَةً مِنَ الإِلَهِ، أَوْ (حُكْمُ الإِلَهِ) حُكْمًا بِنَفْسِهِ فِي حَالِ تَجَسُّدِهِ. وَتُتَرْجَمُ أَحْيَانًا (الدَّوْلَة الدِّينِيَّة) وَهِيَ تَرْجَمَةٌ=

=خَاطِئَةٌ، وَخَطَأٌ مَقْصُودٌ مِنَ (العَلْمَانِيِّينَ) لِتَشْوِيهِ حُكْمَ الإِسْلاَمِ وَتَخْوِيفِ النَّاسِ مِنْهُ!!

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَكَّ هَذَا المُصْطَلَحَ هُوَ: المُؤَرِّخُ اليَهُودِيُّ/ جُوزِيفُوس [يُوسف] فِلاَفْيُوس (بِاللاَّتِينِيَّةِ: Flavius Josephus) فِي القَرْنِ الأَوَّلِ زَمَنِ المَسِيحِ لِوَصْفِ الحُكُومَةِ القَائِمَةِ عِنْدَ اليَهُودِ فِي مُقَابِلِ مَا يَعْتَرِفُ اليُونَانِيُّونَ بِهِ مِنْ ثَلاَثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الحُكْمِ: المَلَكِيَّةِ، وَالأُرْسْتِقْرَاطِيَّةِ، وَالفَوْضَوِيَّةِ. حَيْثُ كَانَ نِظَامُ الحُكْمِ اليَهُودِيِّ لاَ يَنْدَرِجُ تَحْتَ أَيٍّ مِنَ الأَنْظَمَةِ الثَّلاَثَةِ؛ حَيْثُ يُسْتَمَدُّ مِمَّا يَقُولُهُ إِلهُهُمْ [يَهْوَهْ] فِي كِتَابِهِمُ المُقَدَّسِ [(التَّنَاك)؛ مَجَازًا (التَّوْرَاة)]. وَمَعَ حُلُولِ حَقْبَةِ النَّهْضَةِ وَالتَّنْوِيرِ فِي أُورُوبَّا؛ بَدَأَتِ (الثِّيُوقْرَاطِيَّةُ) تَأْخُذُ دَلاَلَةً سَلْبِيَّةً بِشَكْلٍ كَبِيرٍ، خُصُوصًا عَلَى يَدَيِ الفَيْلَسُوفِ الأَلْمَانِيِّ (هِيجِل).

۞ وَ(الحُكُومَةُ الثِّيُوقْرَاطِيَّةِ) فِي اسْتِعْمَالِهَا الشَّائِعِ هِيَ الكَهَنُوتُ الدِّينِيُّ نَفْسُهُ أَوْ عَلَى الأَقَلِّ يُسَيْطِرُ عَلَيْهَا الفِكْرُ الكَهَنُوتِيُّ، أَيْ: (حُكْمُ رِجَالِ الدِّينِ)، أَوْ (حُكْمُ الكَنِيسَةِ)، وَحَيْثُ يَرَى حَاكِمُهُمْ نَفْسَهُ نَائِبًا عَنِ الرَّبِّ وَمُوَجَّهًا مِنْ قِبَلِ (الإِلَهِ)؛ وَهُوَ مَبْعُوثُ العِنَايَةِ الإِلَهِيَّةِ، يَحْكُمُ بِاسْمِهِ، فَأَصْبَحَ مُلْهَمًا مَعْصُومًا عَنِ الخَطَأِ وَالزَّلَلِ، ثَاقِبَ الرَّأْيِ حَادَّ البَصَرِ وَالبَصِيرَةِ حَكِيمَ الحُكَمَاءِ وَفَقِيهَ الفُقَهَاءَ، لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يُعَارِضَهُ [مِثْلُ: (بَابَا الفَاتِيكَان)]. إِنَّهَا بِعَيْنِهَا (الصُّوفِيَّة السِّيَاسِيَّة)، مِمَّا يَجْعَلُهُ سَادِرًا فِي غِيِّهِ لاَ يَخْشَى أَحَدًا، وَيَسْتَطِيلُ فِي جَبَرُوتِهِ وَبَطْشِهِ، وَلاَ يَعْنِيهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ المُحَافَظَةَ عَلَى عَرْشِهِ، وَتَعْطِيلَ أَجْهِزَةِ الدَّوْلَةِ، أَوْ تَحْوِيرَهَا نَحْوَ مَآرِبِهِ الذَّاتِيَّةِ.

۞ وَتَتَمَثَّلُ (الثِّيُوقْرَاطِيَّةُ) فِي ثَلاَثَةِ أَشْكَالٍ:

أَوَّلاً: الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ لِلْحُكَّامِ؛ فَالحُكَّامُ هُمْ (آلِهَةٌ) يَعِيشُونَ بَيْنَ البَشَرِ وَيَحْكُمُونَهُمْ، وَقَدْ=

=ظَهَرَ هَذَا فِي المَمَالِكِ وَالإِمْبرَاطُورِيَّاتِ القَدِيمَةِ فِي مِصْرَ وَالصِّينِ وَبِلاَدِ فَارِس.

ثَانِيًا :نَظَرِيَّة الحَقِّ الإِلَهِيِّ المُبَاشِرِ؛ فَالحَاكِمُ هُوَ مِنَ البَشَرِ وَلَيْسَ لَهُ أَيُّ طَبِيعَةٍ إِلَهِيَّةٍ؛ كَمَا كَانَ يَدَّعِي الفَرَاعِنَةُ وَغَيْرُهُمْ، لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: (أَنَّ الإِلَهَ اخْتَارَهُمْ لِلسُّلْطَةِ)، وَقَدْ خَصَّهُمْ وَحْدَهُمْ بِمُمَارَسَةِ السُّلْطَةِ دُونَ تَدَخُّلٍ مِنْ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ فَقَطْ طَاعَةُ حُكَّامِهِمْ وَأَنَّ مَعْصِيَتَهُمْ تُعْتَبَرُ مَعْصِيَةً لله. وَقَدِ اعْتَنَقَتِ الكَنِيسَةُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةَ فَنَادَى بِهَا الكَهَنَةُ بِأَنَّ (الإِرَادَةَ الإِلَهِيَّةَ) هِيَ مَصْدَرُ كُلِّ سُلْطَةٍ عَلَى الأَرْضِ. (نَظَرِيَّة التَّفْوِيضِ الإِلَهِيِّ عِنْدَ الغَرْبِيِّينَ النَّصَارَى)

ثَالِثًا: نَظَرِيَّة الحَقِّ الإِلَهِيِّ غَيْرِ المُبَاشِرِ؛ أَنَّ (الله) هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ الحَاكِمُ لَيْسَ مُبَاشَرَةً بَلْ بِوَاسِطَةِ هِدَايَةِ الشَّعْبِ لانْتِخَابِ هَذَا أَوْ ذَاكَ مِنَ الحُكَّامِ بِإِرْشَادٍ وَتَوْجِيهٍ مِنَ الإِرَادَةِ الإِلَهِيَّةِ، أَيْ أَنَّ الاخْتِيَارَ هُنَا يَتِمُّ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ.

وَ(الحُكْمُ فِي الإِسْلاَمِ) وَ(الدَّوْلَةُ الإِسْلاَمِيَّة) لَيْسَتْ (ثِيُوقْرَاطِيَّة)؛ فَلَيْسَ فِيهَا (عُلَمَاءُ دِينٍ) وَلاَ (رِجَالُ كَهَنُوت)، وَلاَ يُوجَدُ وُسَطَاءُ وَلاَ أَوْصِيَاءُ بَيْنَ الله وَخَلْقِهِ، كَمَا كَانَتْ أُورُوبَّا تُعَانِي فِي القُرُونِ الوُسْطَى حَتَّى الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ؛ حَيْثُ امْتَدَّتْ سَيْطَرَةُ الكَنِيسَةِ وَرِجَالِهَا إِلَى كَافَّةِ نَوَاحِي الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ فِي المُجْتَمَعَاتِ الأُورُوبِيَّةِ، [بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ لِلتَّحَكُّمِ فِي تَعْيِينِ المُلُوكِ وَعَزْلِهِمْ] ..

وَكَانَ عَلَى أُورُوبَّا لِكَيْ تَنْهَضَ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ تَسَلُّطِ رِجَالِ الكَنِيسَةِ، فَقَامَتْ رِدَّةُ فِعْلٍ عَنِيفَةٍ لَدَى الشُّعُوبِ الأُورُوبِيَّةِ تَمَثَّلَتْ فِي ثَوَرَاتٍ عَلَى الكَنِيسَةِ، وَنَجَحَتْ فِي فَصْلِ الدِّينِ عَلَى الدَّوْلَةِ، وَقَدْ قَامَ الفَلاَسِفَةُ الأُورُوبِّيُّونَ بِالهُجُومِ عَلَى هَذَا المُصْطَلَحِ بِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ دَلاَلاَتٍ سَيِّئَةٍ، حَيْثُ كَانَ يَرْتَبِطُ بِالتَّخَلُّفِ وَالجَهْلِ وَالاسْتِبْدَادِ وَالعُبُودِيَّةِ وَالقَهْرِ، وَكَانَ=

=لاَبُدَّ مِنْ تَحْدِيدِ سُلْطَاتِ البَابَاوَاتِ وَالمُلُوكِ وَإِزَالَةِ صِفَةِ القَدَاسَةِ عَنْهُمْ، وَالتَّعَامُلِ مَعَهُمْ كَبَشَرٍ، وَلَيْسَ كَـ(ظِلّ الله عَلَى الأَرْضِ)، فَتَمَّ كَسْرُ تَحَالُفِ المُلُوكِ مَعَ الكَنِيسَةِ، وَمَنْعُ الكَنَائِسِ مِنَ التَّدَخُّلِ فِي شُؤُونِ الدَّوْلَةِ، وَكَسْرُ احْتِكَارِ الكَنَائِسِ لِلْعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ (حَيْثُ الأَسْرَارُ وَالغُمُوضُ فِي تَعَالِيمِ الكَنِيسَةِ). [وَمَا تَقَدَّمَتْ أُورُبَّا إِلَى بِالبُعْدِ عَنِ الكَنِيسَةِ وَسَطْوَتِهَا وَسَطْوَةِ رِجَالِهَا]

❁ أَمَّا فِي الإِسْلاَمِ؛ فَـ(الحَاكِمُ المُسْلِمُ) يُنْتَخَبُ مِنَ الشَّعْبِ بِشُرُوطٍ مُعَيَّنَةٍ (فَالبَيْعَةُ العَامَّةُ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ لاخْتِيَارِ الحَاكِمِ) [لاَ بِمُجَرَّدِ اخْتِيَارِ (أَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ)]، تُقَدِّمُهُ الأُمَّةُ وَتَخْتَارُهُ عَلَى أَسَاسِهَا لإِدَارَةِ مَصَالِحِهَا فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ مَعْصُومًا؛ فَهُوَ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَيُحَاسَبُ وَيُعْزَلُ، فَوَظِيفَتُهُ تَنْفِيذِيَّةٌ مَحْضَةٌ، وَلَيْسَتْ لَهُ سُلْطَةٌ مُطْلَقَةٌ، بَلْ مَحْدُودَةٌ بِالحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَجَاوَزَهَا، وَإِنَّمَا يَقُومُ بِتَنْفِيذِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ.

فَهُوَ يَقُومُ نِيَابَةً عَنِ المُجْتَمَعِ بِحِمَايَةِ العَقِيدَةِ وَحِفْظِ الدِّينِ وَتَطْبِيقِ مَبَادِئِهِ وَأَحْكَامِهِ وَتَشْرِيعَاتِهِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى حِمَايَةِ المَصَالِحِ العَامَّةِ، وَالدِّفَاعِ عَنِ البِلاَدِ، وَإِقَامَةِ الأَحْكَامِ وَالفَصْلِ فِي المُنَازَعَاتِ، وَجِبَايَةِ الأَمْوَالِ (زَكَاة وَصَدَقَة)، وَتَوْزِيعِهَا بَيْنَ مُسْتَحِقِّيهَا، وَاخْتِيَارِ الوُلاَةِ؛ فَيَخْتَارُ الأَمْثَلَ فِي كُلِّ مَنْصِبٍ بِحَسَبِهِ، وَتَكْلِيفِهِمْ بِمَهَمَّاتِهِمْ.

وَيَحْتَكِمُ الجَمِيعُ (حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ) فِي النِّهَايَةِ إِلَى القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَعَلَى الجَمِيعِ أَنْ يَتَقَبَّلُوا حُكْمَ الشَّرِيعَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ؛ دُونَ أَنْ يَكُونَ لأَحَدٍ مِنَ الحُكَّامِ أَوِ مِنَ الأَفْرَادِ الحَقُّ فِي تَجَاوُزِ تِلْكَ الأَحْكَامِ، وَإِذَا كَانَ الإِسْلاَمُ قَدْ فَرَضَ عَلَى النَّاسِ الطَّاعَةَ لِلْحَاكِمِ فَإِنَّ هَذِهِ الطَّاعَةَ مَشْرُوطَةٌ بِعَدَمِ مُخَالَفَةِ شَرْعِ الله، فَإِنَّهُ "لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ".

فَـ(الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ) -عِنْدَهُمْ- صَنَمٌ مِنَ الحَلْوَى أَوِ العَجْوَةِ؛ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْكَلَ عِنْدَمَا يُخَالِفُ هَوَى (العَلْمَانِيِّينَ) -بَعْدَ أَنِ اعْتَادُوا أَنْ يَكُونُوا هُمُ القَادَةَ وَالسَّادَةَ وَأَهْلَ الرَّأْيِ وَالتَّوْجِيهِ!

❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ (الإِبْدَاعُ) فِي التَّسَارُعِ المَحْمُومِ نَحْوَ انْدِمَاجِ وَتَكَتُّلِ عَمَالِقَةِ دِينَاصُورَاتِ وَحِيتَانِ رُؤُوسِ الأَمْوَالِ لأَكْلِ الأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ (مَحَلِّيًّا، وَعَالَمِيًّا) [الاحْتِكَارُ الصَّارِمُ الجَشِعُ] .. إِبْدَاعٌ فِي جَمْعِ المَالِ، وَسَحْقِ الفُقَرَاءِ وَاسْتِعْبَادِهِمْ.

❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ مَنْ يَتَشَرْنَقُ فِي بُيُوتِ العَنْكَبُوتِ (التَّقْلِيدِيَّةِ؛ فِي الحَيَاةِ)؛ وَيَتُوهُ فِي الوَاقِعِ .. وَيَتَقَوْقَعُ فِي نَفْسِهِ، وَيُصَابُ رُبَّمَا بِـ(الفِصَامِ)[1] وَيَعِيشُ فِي عَالَمٍ

---

(١) (الشِّيزُوفِرِينْيَا) أَوِ (الفِصَامُ) [الفَصْمُ: الكَسْرُ مِنْ غَيْرِ بَيْنُونَةٍ. وَالانْفِصَامُ: الانْقِطَاعُ] (مِنْ أَصْلٍ يُونَانِيٍّ: σχἰζειν، أَلْمَانِيّ: Schizophrenia: يقسم) وَ(φρήν، -φρεν: عَقْل) هُوَ مَرَضٌ ذِهْنِيٌّ أَوْ سِيكُوزٌ [(إِنْجِلِيزِي: psychosis يُنْطَقُ: /saɪ'kousïs/)] [جُنُونٌ] وَظِيفِيٌّ؛ وَكَانَ يُسَمَّى (الجُنُون المُبَكِّر). وَ(الشِّيزُوفِرِينْيَا) مِنَ الأَمْرَاضِ العَقْلِيَّة غَيْرِ المَصْحُوبَةِ بِمَرَضٍ عُضْوِيٍّ مِثْلُ: (الهَوَسِ) وَ(الاكْتِئَابِ). وَعَدَدُ المُصَابِينَ بِهِ يُمَثِّلُ نِصْفَ عَدَدِ المَرْضَى العَقْلِيِّينَ. وَيُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ انْتِظَامِ الشَّخْصِيَّةِ وَإِلَى تَدَهْوُرِهَا تَدْرِيجِيًّا، وَيُعَانِي المُصَابُ بِهِ مِنْ تَفَكُّكِ الوَظَائِفِ النَّفْسِيَّةِ وَالانْعِزَالِ عَنِ العَالَمِ الخَارِجِيِّ وَالانْطِوَاءِ وَسَيْطَرَةِ التَّخَيُّلَاتِ=

بَعِيدٍ عَنِ وَاقِعِهِ.. وَيَنْفَصِلُ عَمَّا حَوْلَهُ وَيَشْعُرُ بِالغُرْبَةِ وَالاغْتِرَابِ!

وَهُنَاكَ مَنْ يَتُوهُ فِي بُيُوتِ العَنْكَبُوتِ (الدِّينَاصُورِيَّةِ الخَيَالِيَّةِ) [العَالَمِ الخَيَالِي الافْتِرَاضِيِّ لِلشَّبَكَةِ الدَّوْلِيَّةِ العَنْكَبُوتِيَّةِ (الإِنْتَرْنِت)] .. وَأَصْبَحَ مَسْكُونًا بِفَقْدِ البَصِيرَةِ، وَفُقْدَانِ الذَّاكِرَةِ التَّارِيخِيَّةِ، وَيَعِيشُ خَارِجَ ذَاتِهِ؛ نَتِيجَةَ تَفْكِيكٍ ذِهْنِيٍّ كَانَ عَصِيًّا عَلَى النَّفَاذِ، وَأَصْبَحَ وَاقِعُهُ ذَرَّاتٍ وَأَرْقَامًا عَبَثِيَّةً مَادِّيَّةً؛ فَقَدَ الإِنْسَانُ فِيهَا إِنْسَانِيَّتَهُ وَقِيمَتَهُ وَحَمِيمِيَّتَهُ لأَخِيهِ الإِنْسَانِ. .. مَعَ غُرْبَةِ الوَاقِعِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ عُزْلَةٍ ذِهْنِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ وَاسْتِبْعَادٍ اجْتِمَاعِيٍّ وَمُجْتَمَعِيٍّ [مَعَ تَفَسُّخِ العَلاَقَاتِ] [حَتَّى عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ: أَهْلِهِ وَذَوِيهِ (التَّفَكُّك الأُسَرِيّ)، فَكُلٌّ مُنْشَغِلٌ وَضَائِعٌ فِي عَالَمِهِ التَّخَيُّلِيِّ الافْتِرَاضِيِّ (الحَيَاة الثَّانِيَة Second Life)] (الجِيتُوهَات[1] الفِكْرِيَّة)، ... وَمِثْلُهُ التَّائِهُ فِي أَحْلاَمِ اليَقَظَةِ السَّابِحُ فِي الخَيَالِ [وَاحِدٌ مِنَ العَرَائِسِ المُتَحَرِّكَةِ أَوِ الأَفْلاَمِ الكَرْتُونِيَّةِ أَوْ أَبْطَالِ القَصَصِ الخَيَالِيَّةِ]؛ فَلاَ يُعِيدُهُ شَيْءٌ إِلَى وَاقِعِهِ!!!

وَمَعَ اخْتِلاَطِ (المُصْطَلَحَاتِ) وَ(المَفَاهِيمِ).

❁❁❁❁❁

=وَالأَوْهَامِ عَلَيْهِ وَالتَّفْكِيرِ الاجْتِرَارِيِّ. وَفِيهِ يَعِيشُ الفَرْدُ فِي عَالَمٍ بَعِيدٍ عَنِ الوَاقِعِ.

(١) كَانَ اليَهُودُ يَعِيشُونَ فِي البِلاَدِ الَّتِي يَقْطُنُونَهَا فِي أَحْيَاءٍ مُنْعَزِلَةٍ؛ تُسَمَّى (الجِيتُو) وَهُوَ حَيُّ اليَهُودِ.

إِنَّهُ (الإِبْدَاعُ) فِي فَوْضَى ثَوْرَةِ (العَوْلَمَةِ) الحَدِيثَةِ، [مَعَ عَدَمِ نِسْيَانِ "عَوْلَمَةِ العُصُورِ الوُسْطَى" (مَحَاكِمِ التَّفْتِيشِ، وَالحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ)؛ وَقَدِ اجْتَمَعَ الغَرْبُ -وَقْتَهَا- عَلَى القَضَاءِ عَلَى الإِسْلاَمِ وَإِبَادَةِ المُسْلِمِينَ، تِلْكَ (العَوْلَمَةُ) الَّتِي تُؤْمِنُ بِأَنَّ رَبَّهُمْ فَرِحٌ بِإِرَاقَةِ دِمَاءِ أَعْدَائِهِ (المُسْلِمِينَ)، وَقَدْ أَظْهَرَ (بُوش) وَغَيْرُهُ مِنَ قَادَةِ (الصَّلِيبِيِّينَ) فِي عَصْرِنَا؛ أَنَّ حَرْبَهُ مَعَ (أَهْلِنَا المُسْلِمِينَ) (حَرْبٌ صَلِيبِيَّةٌ)] ...

هَذِهِ (العَوْلَمَةُ) ذَاتُ الوَجْهِ البَشِعِ القَبِيحِ؛ الَّتِي لاَ تَعْنِي -فِي الحَقِيقَةِ- إِلاَّ (التَّبَعِيَّةَ) المُذِلَّةَ المُهِينَةَ: اقْتِصَادِيًّا وَسِيَاسِيًّا وَثَقَافِيًّا وَأَخْلاَقِيًّا ... الخ [فِي زَعْمِهِمْ: أَنْ يَصِيرَ العَالَمُ قَرْيَةً وَاحِدَةً؛ فَمَنْ يَحْكُمُ؟ بِالطَّبْعِ: المُتَغَلِّبُ المُنْتَصِرُ صَاحِبُ الهَيْمَنَةِ وَالسَّطْوَةِ وَالإِمْكَانِيَّاتِ!] [وَحَيْثُ يَتِمُّ التَّعَدِّي عَلَى سِيَادَةِ الدُّوَلِ (كَمِثَالٍ: المُؤَسَّسَات مُتَعَدِّدَة الجِنْسِيَّاتِ)]، أَوْ عَلَى الأَقَلِّ (التَّهْجِينِ) [وَيَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ: مَحْوُ الهُوِيَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَتَفْرِيغُ المُحْتَوَى الإِسْلاَمِيِّ] وَالَّتِي تُؤَدِّي إِلَى امْتِزَاجِ (الصِّبَغِ) وَ(التَّطْبِيقَاتِ) وَذَوَبَانِ (الوَلاَءِ وَالبَرَاءِ) [وَهِيَ الغُصَّةُ فِي حُلُوقِهِمْ؛ فَهِيَ الحَافِظَةُ لِهُوِيَّةِ الأُمَّةِ]، وَ(المُدَاهَنَةِ) فِي دِينِ اللهِ؛ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القَلَم/ ٩).

وَيُؤَدِّي كُلُّ ذَلِكَ إِلَى (التَّدْجِينِ) [وَآهٍ مِنْ (تَدْجِينِ النُّسُورِ)! وَلَكِنَّ الحُرَّ الأَبِيَّ دَائِمًا عَصِيٌّ عَلَى (التَّدْجِينِ)] ...

إِذَنْ؛ (العَوْلَمَةِ) تَعْنِي: إِمَّا (التَّهْجِينِ) .. وَإِمَّا (التَّدْجِينِ)!

مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البَقَرَة/٢١٧).

وَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عِمْرَان/ ١٠٠، ١٠١).

وَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (آل عِمْرَان/ ١٤٩، ١٥٠).

وَ ...: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأَنْفَال/ ٤٦).

❁❁❁❁❁

إِنَّنَا لاَ نُرِيدُ مَنْ يَحْمِلُ مِنْظَارًا (مُلَوَّثًا) [بِقِيَمٍ وَأَخْلاَقٍ وَمَبَادِئَ وَتَقَالِيدَ وَثَقَافَةٍ لاَ تَمُتُّ إِلَى دِينِنَا وَلاَ إِلَى أُمَّتِنَا]، أَوْ مِنْظَارًا (مَوْرُوثًا) [مِنْظَارٌ صَدِئٌ مُهْتَرِءٌ يُسَلِّمُهُ الآبَاءُ لِلأَبْنَاءِ لِيَرَوْا مِنْ خِلاَلِهِ الآرَاءَ وَالأَفْكَارَ كَمَا رَآهَا الأَجْدَادُ ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾؛ مَعَ تِلْكَ القَوَالِبِ المُتَوَارَثَةِ الَّتِي تُجَمِّدُ العُقُولَ، وَتَحِدُّ مِنَ تَطَوُّرِ التَّفْكِيرِ، وَرُبَّمَا تُعَظِّمُ تَوَافَهَ الأُمُورِ، فَلاَ يَرُونَ إِلاَّ رَأْيَ الأَجْدَادِ وَلاَ يَنْهَجُونَ إِلاَّ نَهْجَهُمْ؛ وَلَوْ كَانَ خَطَأً بَيِّنًا]، دُونَ مُحَاوَلَةٍ لِإِزَالَةِ

الصَّدَأِ عَنْ هَذَا المِنْظَارِ، أَوْ مَسْحَ غُبَارٍ قَدْ عَلِقَ بِهِ مُنْذُ عُقُودٍ.

❁❁❁❁❁

إِنَّهُ لاَ يُمْكِنُ القَبُولُ بِالعَيْشِ فِي مَتَاهَةِ (اللاَّ تَارِيخِ)، وَ(اللاَّ حَاضِرِ). بَلْ وَلاَبُدَّ مِنَ الجَمْعِ بَيْنَ: (الأَصَالَةِ)، وَ(المُعَاصَرَةِ). ... بَيْنَ: الحِفَاظِ عَلَى هُوِيَّتِنَا (المَحَلِّيَّةِ) بِقِيَمِهَا السَّامِيَةِ، وَالاسْتِفَادَةِ مِنَ (العَالَمِيَّةِ) [شَرْقًا وَغَرْبًا] بِمَا عِنْدَهُمْ مَنْ تَقَدُّمٍ وَرُقِيٍّ، .. لاَ تِلْكَ (العَوْلَمَة) المَشْبُوهَة بِوَجْهِهَا البَشِعِ البَغِيضِ. [فَشَتَّانَ بَيْنَ (العَالَمِيَّةِ)، وَبَيْنَ (العَوْلَمَةِ)!][1]

---

(١) الفَرْقُ بَيْنَ (العَالَمِيَّةِ)، وَ(العَوْلَمَةِ):

إِنَّ بَعْضَ المُفَكِّرِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الكَلِمَتَيْنِ تَعْنِيَانِ مَعْنًى وَاحِدًا؛ وَلاَ فَرْقَ بَيْنَهُمَا، لأَنَّ كَلِمَةَ (العَوْلَمَةِ) مَأْخُوذَةٌ أَصْلاً مِنَ (العَالَمِ).

وَلَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ؛ فَهُمَا مُقَابَلَةٌ بَيْنَ (الشَّرِّ) وَ(الخَيْرِ).

❁ (العَالَمِيَّة): انْفِتَاحٌ عَلَى العَالَمِ، وَاحْتِكَاكٌ وَانْتِفَاعٌ بِالثَّقَافَاتِ العَالَمِيَّةِ مَعَ الاحْتِفَاظِ بِخُصُوصِيَّةِ الأُمَّةِ وَفِكْرِهَا وَثَقَافَتِهَا وَقِيَمِهَا وَمَبَادِئِهَا. فَـ(العَالَمِيَّةُ) إِثْرَاءٌ لِلْفِكْرِ وَتَبَادُلٌ لِلْمَعْرِفَةِ مَعَ الاعْتِرَافِ المُتَبَادَلِ بِالآخَرِ دُونَ فُقْدَانِ الهُوِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ. وَخَاصِيَّةُ (العَالَمِيَّةُ) هِيَ مِنْ خَصَائِصِ الدِّينِ الإِسْلاَمِيِّ؛ فَهُوَ دِينٌ يُخَاطِبُ جَمِيعَ البَشَرِ .. دِينٌ عَالَمِيٌّ؛ يَصْلُحُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَهُوَ لاَ يَعْرِفُ الإِقْلِيمِيَّةَ أَوِ القَوْمِيَّةَ أَوِ الجِنْسَ .. جَاءَ لِجَمِيعِ الفِئَاتِ وَالطَّبَقَاتِ؛ فَلاَ تَحِدُّهُ الحُدُودُ. وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ ﷻ عَالَمِيَّةَ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَقَال تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. فَهُوَ دِينٌ حَضَارِيٌّ تَفَاعُلِيٌّ مُنْذُ بِدَايَتِهِ. وَإِنَّ المُسْلِمَ يَحْمِلُ=

=رِسَالَةً عَالَمِيَّةً، وَمَنْ يَحْمِلُ رِسَالَةً عَالَمِيَّةً عَلَيْهِ أَنْ يُدْرِكَ الوَقَائِعَ مِنْ حَوْلِهِ وَالأَوْضَاعَ العَالَمِيَّةَ كُلَّهَا.

❁ أَمَّا (العَوْلَمَةُ): فَهِيَ انْسِلاَخٌ عَنْ قِيَمِ وَمَبَادِئِ وَتَقَالِيدِ وَعَادَاتِ الأُمَّةِ، وَإِلْغَاءُ شَخْصِيَّتِهَا وَكِيَانِهَا وَهُوِيَّتِهَا، وَذَوَبَانُهَا فِي الآخَرِ.

فَـ(العَوْلَمَةُ) -مِنْ غَيْرِ صِرَاعٍ إِيدْيُولُوجِيّ- تَقُومُ عَلَى تَكْرِيسِ إِيدْيُولُوجْيَا (الفَرْدِيَّة المُسْتَسْلِمَة)؛ فَتَقُومُ بِإِلْغَاءِ كُلِّ مَا هُوَ جَمَاعِيٌّ لِيَبْقَى الإِطَارُ (العَوْلَمِيُّ) وَحْدَهُ.

وَتَقُومُ بِوَهْمِ غِيَابِ (الصِّرَاعِ الحَضَارِيِّ) أَيْ: التَّطْبِيعُ وَالاسْتِسْلاَمُ لِعَمَلِيَّةِ (التَّبَعِيَّةِ الحَضَارِيَّةِ). وَبِالتَّالِي يَحْدُثُ فُقْدَانُ الشُّعُورِ بِالانْتِمَاءِ لِوَطَنٍ أَوْ أُمَّةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَوْ دِينٍ؛ فَـ(العَوْلَمَةُ) عَالَمٌ بِدُونِ دَوْلَةٍ وَلاَ أُمَّةٍ وَلاَ وَطَنٍ وَلاَ دِينٍ ... فَـ(العَوْلَمَةُ) أَضْحَتْ لَهَا قِيَمُهَا الَّتِي تَتَفَاعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الاتِّجَاهَاتِ وَالأَوْضَاعِ عَلَى فَرْضِهَا وَتَثْبِيتِهَا، وَقَسْرِ مُخْتَلَفِ شُعُوبِ المَعْمُورَةِ عَلَى تَبَنِّي تِلْكَ القِيَمِ.

وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ (الشَّرِكَاتُ مُتَعَدِّيَة الجِنْسِيَّاتِ) [(العَابِرَة لِلدُّوَلِ وَالقَوْمِيَّاتِ وَالحَضَارَاتِ) (العَابِرَة لِلْجِنْسِيَّاتِ) (عَبْرَ الوَطَنِيَّةِ)] اليَوْمَ جَوْهَرَ النِّظَامِ الرَّأْسِمَالِيِّ الحَدِيثِ، فَهِيَ اللاَّعِبُ الرَّئِيسُ وَالمُؤَثِّرُ وَصَاحِبَةُ النُّفُوذِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ فِي صُنْعِ القَرَارَاتِ: السِّيَاسِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالإِعْلاَمِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ .... [فَمِنْ مَسَاوِئِهَا: مُمَارَسَةُ الضَّغْطِ، وَالاتِّجَارُ بِالنُّفُوذِ، وَالتَّدَخُّلُ فِي شُؤُونِ الغَيْرِ، وَالابْتِزَازُ، وَالمَسَاسُ بِتَكَافُؤِ الفُرَصِ (المُسَاوَاةِ فِي المُعَامَلَةِ)].

❁ أَمَّا عَنْ (أَهْدَافِ العَوْلَمَةِ)؛ فَيَرَى كَثِيرٌ مِنَ البَاحِثِينَ بِأَنَّ (العَوْلَمَةَ) تَسْعَى إِلَى: =

إِنَّنَا نُرِيدُ الإِنْسَانَ الحَامِلَ لإِرْثِ أُمَّتِهِ: الدِّينِيِّ، وَالحَضَارِيِّ [وَالدِّينُ قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ]، المُحَافِظَ عَلَى: الهُوِيَّةِ وَالتَّمَيُّزِ، المُلْتَحِمَ بِوَاقِعِهِ (رَصْدًا، وَتَحْلِيلاً، وَتَقْيِيمًا، وَتَقْوِيمًا عَلَى بَصِيرَةٍ)، المُسَاهِمَ فِي تَغْيِيرِهِ نَحْوَ الأَفْضَلِ، السَّاعِيَ

= أولاً: التَّحَكُّم فِي الاقْتِصَادِ العَالَمِيِّ وَإِخْضَاعِهِ لِمَصَالِحِ الدُّوَلِ الكُبْرَى.

ثَانِيًا: تَشْكِيلِ النِّظَامِ العَالَمِيِّ المَالِيِّ لِيَنْدَرِجَ تَحْتَ المَظَلَّةِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وَإِدْخَالِ دُوَلِ العَالَمِ فِي المَنْظُومَةِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ.

ثَالِثًا: جَعْلِ العَالَمِ قَرْيَةً كَوْنِيَّةً صَغِيرَةً، وَمُحَاوَلَةِ رَبْطِ الإِنْسَانِ بِالعَالَمِ لاَ بِالدَّوْلَةِ وَالقَضَاءِ عَلَى سُلْطَةِ الدَّوْلَةِ وَالمَشَاعِرِ الوَطَنِيَّةِ، وَدَمْجِ العَالَمِ فِي وِحْدَةٍ إِعْلاَمِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُنْطَلَقِ مَعْلُومَاتِيَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ بِطَبِيعَةِ الحَالِ يَتَحَكَّمُ فِيهَا (الغَرْبُ)!

رَابِعًا: الهَيْمَنَةِ السِّيَاسِيَّةِ عَلَى دُوَلِ العَالَمِ الثَّالِثِ [بَلْ وَابْتِزَازِ الأَنْظِمَةِ بِهَا]؛ وِفْقَ نَظَرِيَّةِ دَارْوِينَ (البَقَاءِ لِلْأَصْلَحِ) فَلاَ بَقَاءَ لِلضَّعِيفِ.

خَامِسًا: التَّذْوِيبِ الحَضَارِيِّ لِسَائِرِ الحَضَارَاتِ الَّتِي تَحْمِلُ قِيَمًا مُضَادَّةً لِقِيَمِ الحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ؛ وَعَلَى رَأْسِهَا الحَضَارَةُ الإِسْلاَمِيَّةِ.

فَيَجِبُ مَزْجُ الأُمَمِ فِي الحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ بِالقَضَاءِ عَلَى: التَّعَصُّبِ الدِّينِيِّ وَالقَوْمِيِّ وَالإِقْلِيمِيِّ.

سَادِسًا: إِعَادَةِ بِنَاءِ هَيْكَلِيَّاتِ أَقْطَارِ العَالَمِ السِّيَاسِيَّةِ فِي صِيَغٍ تُكَرِّسِ الشَّرْذَمَةِ وَالتَّشَتُّتِ الإِنْسَانِيِّ، وَتَفَكُّكِ الأَوْطَانِ وَالقَوْمِيَّاتِ إِلَى كَيَانَاتٍ هَزِيلَةٍ؛ قَائِمَةٍ عَلَى: نَزَعَاتٍ قَبَلِيَّةٍ عِرْقِيَّةٍ أَوْ دِينِيَّةٍ طَائِفِيَّةٍ أَوْ لُغَوِيَّةٍ ثِقَافِيَّةٍ؛ وَذَلِكَ لِسَلْبِ أُمَمِ العَالَمِ وَشُعُوبِهَا القُدْرَةَ عَلَى مُوَاجَهَةِ الزَّحْفِ المُدَمِّرِ لِلرَّأْسِمَالِيَّةِ العَالَمِيَّةِ وَالَّتِي لاَ تَسْتَقِرُّ إِلاَّ بِالتَّشَتُّتِ الإِنْسَانِيِّ.

لِتَقَدُّمِ أُمَّتِهِ عَلَى رَكْبِ الأُمَمِ -كَمَا كَانَتْ.

❁❁❁❁❁

فَإِنَّ (المُبْدِعَ) لَيْسَ (مُجْتَرًّا) لِلْمَاضِي فَقَطْ؛ بَلْ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُفَكِّرًا يَأْتِي بِـ(الجَدِيدِ) النَّافِعِ، وَذَلِكَ في كَافَّةِ المَجَالاَتِ.. فَلاَ يَعِيشُ بِـ(الآلِيَّةِ) المِيكَانِيكِيَّةِ المُمِلَّةِ في تَكْرَارِ نَمُوذِجٍ قَدِيمٍ مُتَهَالِكٍ مُغْلَقٍ، وَإِعَادَةِ تَكْرَارِهِ بِلاَ رُوحٍ؛ كَالدُّمَى.

إِنَّنَا نُرِيدُ (تَطْهِيرَ النُّفُوسِ)، وَ(احْتِرَامَ العُقُولِ).

وَلَيْسَ كُلُّ قَدِيمٍ مُقَدَّسًا، وَلَيْسَ كُلُّ جَدِيدٍ إِبْدَاعًا.

(فَلاَ بُدَّ مِنَ الانْتِقَاءِ، وَالتَّرْشِيحِ، وَالتَّرْشِيدِ).

❁❁❁❁❁

إِنَّنَا نُرِيدُ (الإِبْدَاعَ) مِنْ خِلاَلِ (المَفَاهِيمِ الإِسْلاَمِيَّةِ) الصَّحِيحَةِ [حَيْثُ أَنَّ بِالمَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ وَالقُدْرَةِ عَلَى التَّعَلُّمِ وَالفَهْمِ وَالاسْتِنْبَاطِ أَصْبَحَ (آدَمُ) مُسْتَحِقًّا لإِعْمَارِ الأَرْضِ، عَكْسُ مَا جَاءَ فِي تَوْرَاةِ اليَهُودِ المُحَرَّفَةِ بِأَنَّ (آدَمَ) طُرِدَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لأَنَّهُ أَكَلَ مِنْ (شَجَرَةِ المَعْرِفَةِ)؛ فَكَأَنَّ العِلْمَ كَانَ مُحَرَّمًا عَلَى (آدَمَ)!]، لاَ مِنْ خِلاَلِ (المَفْهُومِ الغَرْبِيِّ) لِلإِبْدَاعِ بِمَا فِيهِ مِنِ اعْتِدَاءٍ عَلَى كُلِّ القِيَمِ، وَالصِّدَامِ بَيْنَ التَّصَوُّرَاتِ المُتَجَذِّرَةِ المُتَنَافِرَةِ وَالمُتَنَاقِضَةِ!!!

❁❁❁❁❁

إِنَّ أَجْمَلَ مَا فِي (التَّفْكِيرِ المُبْدِعِ)؛ هُوَ أَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنْ قُوَّةِ الرُّؤْيَةِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ، وَيُعْطِي أَصْحَابَهُ مَلَكَةً جَيِّدَةً عَلَى حُسْنِ التَّوَقُّعِ وَالاسْتِشْعَارِ بِالقَادِمِ. أَوِ .. القُدْرَةَ الذِّهْنِيَّةَ عَلَى إِيجَادِ التَّرَابُطِ وَالاتِّصَالِ بَيْنَ أَجْزَاءِ

الأَعْمَالِ وَالخِطَطِ المُخْتَلِفَةِ.

وَتَتَمَثَّلُ هَذِهِ المَلَكَةُ بِمَوْهِبَةِ (رُؤْيَةِ الذَّاتِ) بِشَكْلٍ مَنْطِقِيٍّ وَمُتَوَازِنٍ، ثُمَّ (رُؤْيَةِ الغَيْرِ) كَذَلِكَ؛ بِلاَ إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ وَلاَ غُرُورٍ وَلاَ تَهَاوُنٍ.

❁❁❁❁❁

وَبَعْدُ: فَالمَطْلُوبُ:

❁ تَقْوَى اللهِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ❁ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطَّلاَق/ ٢- ٣)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ❁ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ❁ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ (الأَعْرَاف/٩٦- ٩٩).

وَقَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نُوحٍ عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ❁ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ❁ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نُوح/١٠- ١٢).

فَـ(البَرَكَةُ) في "تَقْوَى اللهِ"!

وَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ (الحَقُّ)، وَعِنْدَهُ (الحَقُّ)!

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ

الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (يُونس/٣٤- ٣٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾ (الحَجّ/ ٦٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (الرَّعْد/ ١٤).

وَرَوَى الإِمَامُ اللَّالْكَائِيُّ فِي (شَرْح أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) (ح ١٧) بِسَنَدِهِ: عَنْ عَاصِمٍ [الأَحْوَلِ]؛ قَالَ: قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: «تَعَلَّمُوا الإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ. وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّهُ الإِسْلَامُ، وَلَا تُحَرِّفُوا الإِسْلَامَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا. وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ وَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ[أَيْ: شِدَّة الكُرْهِ وَالمَقْتِ]». فَحَدَّثْتُ الحَسَنَ؛ فَقَالَ: «صَدَقَ وَنَصَحَ». قَالَ: فَحَدَّثْتُ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ؛ فَقَالَتْ: «يَا بَاهِلِيُّ! أَنْتَ حَدَّثْتَ مُحَمَّدًا [أَيْ: ابْن سِيرِينَ] بِهَذَا؟» قُلْتُ: لَا. قَالَتْ: «فَحَدِّثْهُ إِذًا».

وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ البَرْبَهَارِيُّ (ت ٣٢٩هـ) فِي كِتَابِهِ (شَرْحِ السُّنَّة) (٥): «... فَانْظُرْ -رَحِمَكَ اللهُ- كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً؛ فَلَا تَعْجَلَنَّ، وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ؛ حَتَّى تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ: هَلْ تَكَلَّمَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ أَحَدٌ مِنَ العُلَمَاءِ؟ فَإِنْ أَصَبْتَ فِيهِ أَثَرًا عَنْهُمْ فَتَمَسَّكْ بِهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ لِشَيْءٍ، وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا؛ فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ.»

۞ قِيَامُ (صَحْوَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ) حَقَّةٍ ... بَعْثٌ حَضَارِيٌّ لِتَحْدِيدِ (هُوِيَّةِ) الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَبِنَاءِ مُسْتَقْبَلِهَا عَلَى أُسُسٍ صَحِيحَةٍ؛ انْطِلَاقًا مِنْ خَيْرِ مَا فِي (المَاضِي) الزَّاهِرِ لأُمَّتِنَا، وَأَفْضَلِ مَا فِي (الحَاضِرِ)، مَعَ الانْتِفَاعِ بِخَيْرِ مَا عِنْدَ غَيْرِنَا مِنَ الأُمَمِ وَالحَضَارَاتِ الأُخْرَى.

۞ تَوَحُّدُ الصَّفِ وَنَبْذُ الخِلَافَاتِ وَتَضْيِيقُ هُوَّةِ الاخْتِلَافَاتِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ۞ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عِمْرَان/ ١٠٢- ١٠٥).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/ ٤٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام/ ١٥٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام/ ١٥٩).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الرُّوم/ ٣١، ٣٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(١) «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا. وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ».

- وَلاَ يَكُونُ ذَلِكَ إِلاَّ بالفَهْمِ المُتَبَادَلِ بحِوَارٍ جَادٍّ وَمُثْمِرٍ وَخَصِيبٍ [بَعِيدًا عَنِ المَنَاطِقِ (البُورِ) الَّتِي يَدُورُ حَوْلَهَا النِّقَاشُ .. وَبَعِيدًا عَنِ اسْتِخْدَامِ

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢/ ٣٦٧ ح ٨٧٨٥)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٧١٥). وَرَوَاهُ أَيْضًا: مَالِكٌ (٢/ ٩٩٠ ح ١٧٩٦)، وَالبُخَارِيُّ فِى الأَدَبِ المُفْرَدِ (١/ ١٥٨ح ٤٤٢)، وَأَبُو عَوَانَةَ (٤/ ١٦٥ح ٦٣٨٧)، وَابْنُ حِبَّانَ (٨/ ١٨٢ح ٣٣٨٨)، وَالبَيْهَقِيُّ فِى الشُّعَبِ (٦/ ٢٥ ح ٧٣٩٩).

وَرَوَى نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: البُخَارِيُّ (ح ١٤٧٧، ٢٤٠٨، ٥٩٧٥، ٦٤٧٢، ٧٢٩٢)، وَمُسْلِمٌ (ح ٥٩٣).

أَدَوَاتِ التَّحْبِيبِ وَالتَّبْغِيضِ (المُنْحَازَةِ)] مَعَ بَيَانِ وُجُوهِ (الاتِّفَاقِ) وَنِقَاطِ (الخِلاَفِ)؛ بَيَانًا وَاضِحًا لاَ لَبْسَ فِيهِ وَلاَ غُمُوضَ بِغَيْرِ شَطَطٍ وَلاَ إِظْمَارٍ.

❁ الرُّجُوعُ إِلَى الأَصْلِ المَرْجِعِيِّ الثَّابِتِ فِي القُرْآنِ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ [الَّتِي هِيَ صِنْوُ القُرْآنِ] [مَعَ عَدَمِ الانْسِيَاقِ لِمَا يُسَمَّى بالحَدَاثَةِ وَالمُعَاصَرَةِ مُسْتَلْهِمَةً فِي ذَلِكَ مُقْتَبَسَاتِ الفِكْرِ وَالفَلْسَفَةِ النِّسْبِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ؛ تَحْتَ دَعْوَى (التَّجْدِيدِ) الَّتِي تَرْفُضُ (الثَّوَابِتِ المُطْلَقَةِ) (فَكُلُّ شَيْءٍ -عِنْدَهُمْ- نِسْبِيٌّ وَمُتَغَيِّرٌ) فِي المُعْتَقَدَاتِ وَالسُّلُوكِ الفَرْدِيِّ وَالجَمْعِيِّ وَسَائِرِ مُتَبَنَّيَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ؛ وَذَلِكَ باسْتِخْدَامِ الكَثِيرِ مِنْ أَدَوَاتِ المَنَاهِجِ البَحْثِيَّةِ المُسْتَحْدَثَةِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الفَلْسَفِيَّةِ التَّغْرِيبِيَّةِ وَالَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى قِرَاءَاتٍ تَأْوِيلِيَّةٍ لِلنُّصُوصِ النَّقْلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ].

وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ ثَبَاتِ (النَّصِّ) المُنَزَّلِ المَوْرُوثِ [الَّذِي لاَ تَتَسَرَّبُ إِلَيْهِ (النِّسْبِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ)] وَبَيْنَ اخْتِلاَفِ (الظَّرْفِ) التَّارِيخِيِّ وَالمُجْتَمَعِيِّ [اخْتِلاَفِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ] [وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ (الأَصَالَةِ) الَّتِي تَعْلُو عَلَى اخْتِلاَفَاتِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، وَ(التَّجْدِيدِ) الَّذِي يَخْضَعُ لِلزَّمَانِ وَالمَكَانِ] [التَّمْيِيزِ بَيْنَ (الثَّابِتِ غَيْرِ التَّارِيخِيِّ) وَ(المُتَغَيِّرِ التَّارِيخِيِّ)] [التَّمْيِيزِ بَيْنَ (الثَّوَابِتِ) وَ(النَّوَابِتِ)] [التَّمْيِيزِ بَيْنَ (المُقَدَّسِ) مِنَ النُّصُوصِ المُنَزَّلَةِ وَ(غَيْرِ المُقَدَّسِ) مِنَ الاجْتِهَادَاتِ البَشَرِيَّةِ]، وَذَلِكَ بَعْدَ تَحْرِيرِ المَسَائِلِ مِنَ اللَّبْسِ وَالغُمُوضِ] ..

وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ (المَوْرُوثِ) وَ(الوَافِدِ) [وَ(التَّدَاخُلِ بَيْنَهُمَا)] [وَالتَّنَبُّهُ أَنَّ

بَعْضَهُمْ -تَدْلِيسًا وَتَلْبِيسًا- يُسَمِّي كُلَّ مَا هُوَ تُراثٌ (نَقْلاً) وَكُلَّ مَنْقُولٍ عَنِ الغَرْبِ (عَقْلاً)!] [وَالتَّنَبُّه لِمَا تَفْرِضُهُ (المُتَغَيِّرَاتُ)].

وَتَمَايُزُ الذَّاتِ [وَمَعْرِفَة خَاصَّةِ (الأَنَا)] بِمَعْرِفَة سِمَاتِ (الهُوِيَّةِ) المُمَيِّزَةِ لأُمَّتِنَا وَمَادَّةِ قُوَّةِ تَمَاسُكِهَا وَقَوَائِمِ الارْتِكَازِ الَّتِي تَتَجَمَّعُ حَوْلَهَا: عَقَدِيًّا (إِيمَانِيًّا) وَفِكْرِيًّا وَحَضَارِيًّا وَتَارِيخِيًّا .. وَمَعْرِفَة مَا يُهَدِّدُهَا وَيَطْمِسُ ذَاتِيَّتَهَا [وَالتَّنَبُّه لِزَحْفِ (الفِكْرِ الغَرْبِيِّ)؛ وَتَقْدِيمِهِ لَنَا مُمَثَّلاً لِلتَّقَدُّمِ والعَصْرِيَّةِ وَالحَدَاثَةِ، وَأَنَّ تَارِيخَهُ هُوَ مِعْيَارُ التَّارِيخِ البَشَرِيِّ كُلِّهِ، وَأَنَّ وَاقِعَهُ (بِكُلِّ مَا فِيهِ حَتَّى الخَسَاسَة وَالفُجُور وَالنَّجَاسَة) هُوَ الصُّورَةُ المُثْلَى [(يُوتُوبْيَا) المَدِينَة الفَاضِلَة] وَمَحَطُّ الآمَالِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَكُونَ عَلَيْهَا وَنَصْبُوا إِلَيْهَا].

۞ إِبْدَاعٌ فِي: العَمَلِ، وَالإِنْتَاجِ، وَالابْتِكَارِ، وَطَلاَقَةِ الفِكْرِ الصَّحِيحِ، وَإِعْلاَءِ القِيَمِ وَالمَبَادِئِ وَالأُسُسِ: الحَقِّ، وَالإِخْلاَصِ، وَالصِّدْقِ، وَالأَمَانَةِ، وَالشَّرَفِ، ... مَعَ دِرَاسَةِ الأَخْطَاءِ وَإِيجَادِ الحُلُولِ الصَّحِيحَةِ لَهَا؛ دُونَ مُحَاوَلَةِ الوُصُولِ إِلَى شَمَّاعَةٍ لِهَذِهِ الأَخْطَاءِ.

- وَأَنْ نَذَرَ أَحْلاَمَ اليَقَظَةِ وَالسَّبْحَ فِي الخَيَالِ وَالاسْتِغْرَاقِ فِي الخُرَافَاتِ [وَالأَمَلَ فِي الوُصُولِ إِلَى (مِصْبَاحِ عَلاَءِ الدِّينِ) الخُرَافِيِّ]. ...

بَلْ نُضِيءُ [نَحْنُ] مِصْبَاحًا أَوْ شَمْعَةً [وَلَوْ صَغِيرَةً] تُبَدِّدُ الظَّلاَمَ، ...

أَوْ نَبْنِي لَبِنَةً فِي بِنَاءِ المُسْتَقْبَلِ بلاَ تَرَاخٍ أَوْ تَكَاسُلٍ ...

أَوْ نَغْرِسُ غَرْسًا [وَلَوْ فَسِيلَةً[1] (الصَّغِيرَة مِنَ النَّخْلِ)]؛ [مَعَ أَنَّ (الفَسِيلَةَ) تَحْتَاجُ لِسَنَوَاتٍ حَتَّى تُثْمِرَ، فَلْتُفَكِّرْ -دَائِمًا- فِي غَيْرِكَ وَفِي الأَجْيَالِ القَادِمَةِ]، [لاَ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَسِيرُونَ عَلَى مَبْدَأِ: (أَنَا وَمِنْ بَعْدِي الطُّوفَانِ)، (تَحْطِيم المَعْبَدِ)] ...

... كَيْ لاَ يَنْحَرِفَ المَسَارُ، أَوْ تَضِيعَ الثِّمَارُ، أَوْ .. يَقْطِفَهَا آخَرُونَ!!!

❁❁❁❁❁

❁ فَـ(خَارِطَةُ الأَمَلِ) تَبْدَأُ بَعْدَ "تَقْوَى اللهِ"؛ بـ:

الإِنْتَاجِ [وَمِنْهُ: الإِثْرَاءُ الفِكْرِيُّ]، وَتَوَحُّدِ الصَّفِ [بَعْدَ بَذْرِ (الثِّقَةِ)، وَ(تَوَحُّدِ الهَدَفِ)، وَالاجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ]، وَ... نَبْذِ (الفَوْضَى).

❁❁❁❁❁

(١) فَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ؛ فَلْيَغْرِسْهَا».

رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣/ ١٩١ح ١٣٠٠٤)، وَالطَّيَالِسِيُّ (ص ٢٧٥ ح ٢٠٦٨)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (ص ٣٦٦ ح ١٢١٦)، وَالبُخَارِيُّ فِي (الأَدَب المُفْرَد) (١/ ١٦٨ ح ٤٧٩)، وَالضِّيَاءُ (٧/ ٢٦٣ ح ٢٧١٤)، وَالبَزَّارُ؛ كَمَا فِي (مَجْمَع الزَّوَائِد) (٤/ ٦٣) وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ: رِجَالُهُ أَثْبَاتٌ ثِقَاتٌ.